

مجنون لیلی



تألیف
احمد شریف بک

مجنون لیلی

مجنون لیلی

تأليف

المرحوم أحمد شوقي بك

شركة فن الطبخ عت

شارع الاربعين روم ١ سراج مصفى
 بيروت ١٩٨٦ م

تمهيد

- (١) زمن الرواية : صدر الدولة الأموية .
- (٢) مكان الرواية : بادية نجد .
- (٣) أشخاص الرواية :
 - قيس : مجنون ليلي .
 - ليلي :
 - المهدي : أبو ليلي .
 - ورد : زوج ليلي .
 - ابن عوف : أمير الصدقات في الحجاز وعامل من عمال بني أمية .
 - زياد : راوية قيس وصديقه .
 - منازل : غريم قيس في حب ليلي .
 - بشر : رجل من بني عامر .
 - ابن ذريح : شاعر من شعراء الحجاز .
 - نصيب : كاتب ابن عوف .
 - سعد : رجل من بني عامر .

- الفريض : مغن مشهور .
 ابن سعيد : شاعر .
 أمية : رفيق ابن سعيد .
 الأموى : شيطان قيس .

شباطين .	}	عزف فوت
		هيد
		عسر
		عاصف

- بلهاء : جارية قيس .
 عفراء : جارية ليل .

فتيات من بني عامر .	}	سليم
		هند
		عبلة

رجال - قوافل - حداة - صبية - فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدي في حي بني عامر — مجلس من »
 « مجالس السمر في هذه الساحة — فتية وفتيات من الحي »
 « يسرون في أوائل الليل ؛ وفي أيدي الفتيات صوف »
 « ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون — تخرج لبلى من »
 « خيام أبيها عند ارتفاع السار ويدها في يدا ابن ذريح »

لبلى : دعى الغزل ساهي وحيي معي منار الجحاز فتى يثرب (*)

[تصاغفه سبلى]

ويا هند هذا أديب الجحاز هلمى بمقدمه رحي

[تصاغفه هند ويحتفى به السامرون]

سعد : أمن يثرب أنت آت »

ابن ذريح : أجل من البلد القدس الطيب

لبلى : أيا ابن ذريح لقينا الغمام (السحاب) في رحل الكرم

هند : وطافت بنا نفحات النبي

عبلة [هامة إلى سعد] :

(*) يثرب : المدينة المنورة .

من ابن ذريح ؟

لسعد : قَتَى ذِكْرُهُ
رَضِيعُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
على مشرق الشمس والمغرب
وتربُّ الحسين من المكتب

عبلة [إلى بشر ومشيئة إلى ابن ذريح] :

أَتَسْمَعُ بَشْرًا رَضِيعُ الْحُسَيْنِ
وَأَنْتَ إِذَا مَا ذَكَرْنَا الْحُسَيْنَ
فَدَيْتُ الرَضِيعِينَ وَالْمَرْضَعَةَ
تصامت !

بشر [هاسا وملتفتا كأنما يخشى أن يسمعه أحد] : لا جاهلاً موضوعة

ولكن أخاف أمراً أن يرى
أحب الحسين ولكنا
على التشيع أو يسمعه
لساني عابه وقلبي معه

حبست لسانى عن مدحه
إذا الفتنة اضطربت في البلاد
حذار أُمِّيَّة أَنْ تَقْطَعَ
ورمت النجاة فكُنْ إِمَّعَهُ

لسلى : ابن ذريح ، نحن في عزلة
دار النبي كيف خلفتها ؟
فهل على مستفهم منك بأس ؟
كيف تركت الأمر فيها يسأس ؟

ابن ذريح :

ترصكُها ياليل مضبوطة يحكُّها وإل شديد المبراس
 إن حديث الناس في يثرب همس وخطوا الناس فيها احتراس
 ليلي : ابن ذريح ، لا تبجروا قصد أحلام مروان بجبال رواش
 يؤسسون الملك في بيتهم والعنف والشدّة عند الأساس

[تمضحك الفتبات وتقول إحداهن لأخرى]

فتاة : ليلي على دين قيس فحيث منال تميل
 وكل ما سر قيسا فعند ليلي جميل
 ابن ذريح : ما الذي أضحك مني الظليّات العامرية
 الآن أنا شيعي ويلي أمهوية
 اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية
 ليلي : أعزني سماعك يا ابن ذريح ولا تسمع الطفلة الهاذية
 أتيت لنا اليوم من يثرب فكيف ترى عالم البادية

أ كنت من الدور أو في القصور
 كأن النجوم على صدرها
 هند: كفى يا بنة الخلال! هذا الحرير
 تأمل تر اليد يابن ذريح
 سئمتنا من اليد يابن ذريح
 ومن موقد النار في موضع
 وراغية من وراء الخيام
 وأنتم بيثرب أو بالعراق
 مغنيكم معبد والغريض
 وقد تأكلون فنون الطهارة
 ليلي: قد اعتسفت هند يابن ذريح
 فما اليد إلا ديار الكرام

تري هذه القبة الصافية
 قلائد ماس على غانيه
 كثير على الرمة الباليه
 كمقبرة وحشة خاويه
 ومن هذه العيشة الجافية
 ومن حالب الشاة في ناحيه
 نجيب من الكلاء الثاغية (*)
 أو الشام في الغرف العاليه
 وقينتنا الضبع الغاويه
 وناكل ما طهت الماشيه
 وكانت على مهدها قاسيه
 ومنزلة الذمم الوافيه

(*) الراغية : الناقة . والثاغية : الشاة .

لها قُبْلُهُ الشمس عند البُزوغ وللخَضِرِ القُبْلَةُ الثانيه -
ونحن الرياحين ملء الفضاء وهُنَّ الرياحينُ في الآنيه
ويقتلنا العِشْقُ والحاضراتُ يقمن من العشق في عافيه
ولم نصطدِمْ بهموم الحياة ولم ندر - لولا الهوى - ماهيه
وآنا نخف لصيْدِ الظباء وآنا إلى الأسد الضاريه
هند [ساهرة] :

وفي كل ناحية شاعرٌ يغني بيلاه أو راويه
[تحاول ليلي أن تمزجها فتالم وتستغيث]

ليلى : قيس ، إلى قيس

هند : ما دهالك ليلي ما الخبز

ليلى : أحس رجلي خدرت حتى كأنها الحجر

هند : قد صحت : قيس ، مرتب

ليلى : من أو ثلاثا ! ما الضرر ؟

(*)

هند [متكة]: اسم الحبيب عندنا نذكره عند الخدر

ليلي: هند، كفى دعاية إن هو إلا أسم حضر

[لنفسها]:

يا قيسُ ناجي باسمك القلبُ اللسانُ فعثر

حيلة [خبرة]:

أما سوى هذا الحديث شاغل؟ كيف ظلمت اليوم يا منازل؟

منازل [ضاحكا]:

منازل اليوم كأس هازل يشرب أو يطعم أو يغازل!

هند: بئح! كذا فلتكن الحياة مت يا بعير وانفق يا شاة

أنغمست في الترف الرعاة!

ليلي: وكيف ظلمت اليوم سعد؟ أهازل؟ كتر بك أم في صالح ورشاد؟

سعد: بل الجدُّ ياليلي سبيلي وديدني حياتي يوادٍ والمجونُ بوادي

صحبتُ زيادا طول يومى تلقفا لأشعار قيس من لسان زياد

(*) خدرت الرجل: تملت.

وإنَّ زيادا - منذ كان - لراح^١ علينا بشعر العاصري^٢ ووغادي
ولولا زياد^٣ ما تمثّل حاضر^٤ بأشعار قيس أو ترنم بادي

[يبدو على ليلي شيء من الزهو فتهاصس الفتيات]

سلي: انظري هند تری لیلى اکتست زهوا وکبرا

وتعالت كابنية النعمان أو كابنة كسرى

هند: لِمَ لا سلی ، ألم یرَ فع لها المجنون ذکرًا؟

جيلة: لِمَ إذن یا هند من قیس ومما قال تبرًا؟

هند: عبثُ النسوة ، إنا نحن بالنسوة أدري!

سلي: سلوا الآن بشرافيم أنفق يومه؟

أصوات: سلوه

هند: سلی یا لیلَ عن يومه بشرًا

ليلى: وهل يومه إلا شؤون كأمسه من الصيد؟

هند: إن الصيد لذته الكبرى

بشر: نعم هو ملهاى الذى لا أملة ولا النفس تُعطى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشي في قصور أمية لعلمتُ فن الصيد فتبانها الزهراء
وما أنا صيادُ الأرانِبِ مثلهم ولكن على حياته ألجُ القفراء
ليلي : إذن هات واصدُق بشر في القول حرّة

ولا تخترع أوتبن من حجرٍ فصراً
بشر : دعي عنك هذا السُخرَ يا ليلَ واسمعي

تحدثت فلا والله لم أضمر السُخرَ
ليلي :
بشر : بَكَرْتُ كدأبي اليوم أبغى قنينةً ومن يتصيد بحسب الغنم والخسرة
(رأيت غزالاً يرعى وسطَ روضة)

فقلت أرى ليلي تراءت لنا ظهراً^(*)
هند [مشيرة إلى ليلي] :

وأى الليالى بشرُ أنست ؟ هذه ؟
بشر : إذا شئت - أوهاتيك - أوحرةً أخرى

(*) الأبيات التي بين الأقواس من شعر قيس .

فقلتُ له يا ظبيُّ لا تخشَ حادثاً
 (فإنك لي جارٌ ولا ترهب الدهراً)
 (فما راعني إلا وذئبٌ قد اتقى
 فأعلق في أحشائه النابَّ والظفراً)
 (ففتوتُ سهمي في كتومِ غمستها
 نخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا)
 هـ [مضحكة] :

أنى بشرُ لا شئتُ يمينك من يدِ
 ولا قضُ فاك الصبحُ والليل ما كرا
 سمعنا بإقدام اللصوص وقتكهم
 فلم نر أدهى منك فتكاً ولا أجرا
 عو الله لم تغضب لظبي ولم تثب
 بذئب ولم تُعيل خيالا ولا فكرا
 فأخذت فلم تترك لقيس بضاعةً

سرفت لعمري الظبي والذئب والشعرا

[ضحك من الجميع] :

حديثُ الظبي والذئب وقيسُ لستُ أنساه
 زياد عنه نبأني ولا ينبئك إله
 رأى قيسُ على رابية ظيافنا داه
 فألقى الظبي أذنيه ومس الأرض قرناه

[ثم تقول في لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها] :

بروحى قيس هل راحت ظباء القاع تهواه !
وهل يرثى له الريم ولا أرثى لبلواه !
[تستمر في حديثها الأول] :

على فيه من العشب بقايا صبغت فاه
رأى في جيده قيس وفي عينيه ليلاه
فينا هو في الشوق وفي نشوة ذكراه
حبا النشب من الوادى إلى الظبي فأرداه
تغلدى بحشى الظبي غداً ما تنساه
رماه قيس في المقتل بالسهم فأصماه
شر [منذفاً بحماسة] :

أجل يا ليل ! ما قلت سوى شيء شهدناه
وإن لم تذكرى القبر ولا كيف خططناه
حفرنا القبر للظبي وقمنا فدفناه

وصلينا على الميت وبالدمع سقيناه
فقلوا ولتقل ليلي معى : يرحمه الله !
[أصوات ، بين الضحك والسخرية] :
أجل بشر !
أجل بشر ! أجل يرحمه الله !

ابن ذريح :

بشر ، كفى هزلا وتخليطا كفى
أرسلنى قيسُ فلو أخبرتنى
بتنا نخاف أن يجلّ خطبه
وقيسُ ياليلي وإن لم تجهلى
لم ندر في حيك أوفى حيه
ولا حمالا ، وهنا (ياليل) ما
بشر [سانرا] : ينجي ! ابن ذريح خاطبُ

ابن ذريح : أسكت ، فليست للمروءات أخا

ليلي [غاضبة] : فم هذا الكلامُ يا بن ذريح ؟

لأتق الله واقصدي في التجني

ابن ذريح :

ليس : ماتجيت

أحسب الذود عن صديق ويخذي

ابن ذريح : بل ظلمت ، دعيني

لو يداوى برحمتي والتجني

ليس : أنا أولى به وأحني عليه

من هوى في جوانحي مستكن

يعلم الله وحده ما لقيس

دن قيس من الضبابه دني

لأنني في الهوى وقيسا سواء

أنا بين اثنتين كلاهما السنار فلا تلحني ولكن أعني

واحتفاظي بمن أحب وضئي

بين حرصي على قداسة عرصي

وهو مستهتر الهوى لم يصني

صنت منذ الحداثة الحب جهدي

كان بالغيل بين قيس وبينني !

قد تغني بليلة الغيل ، ماذا

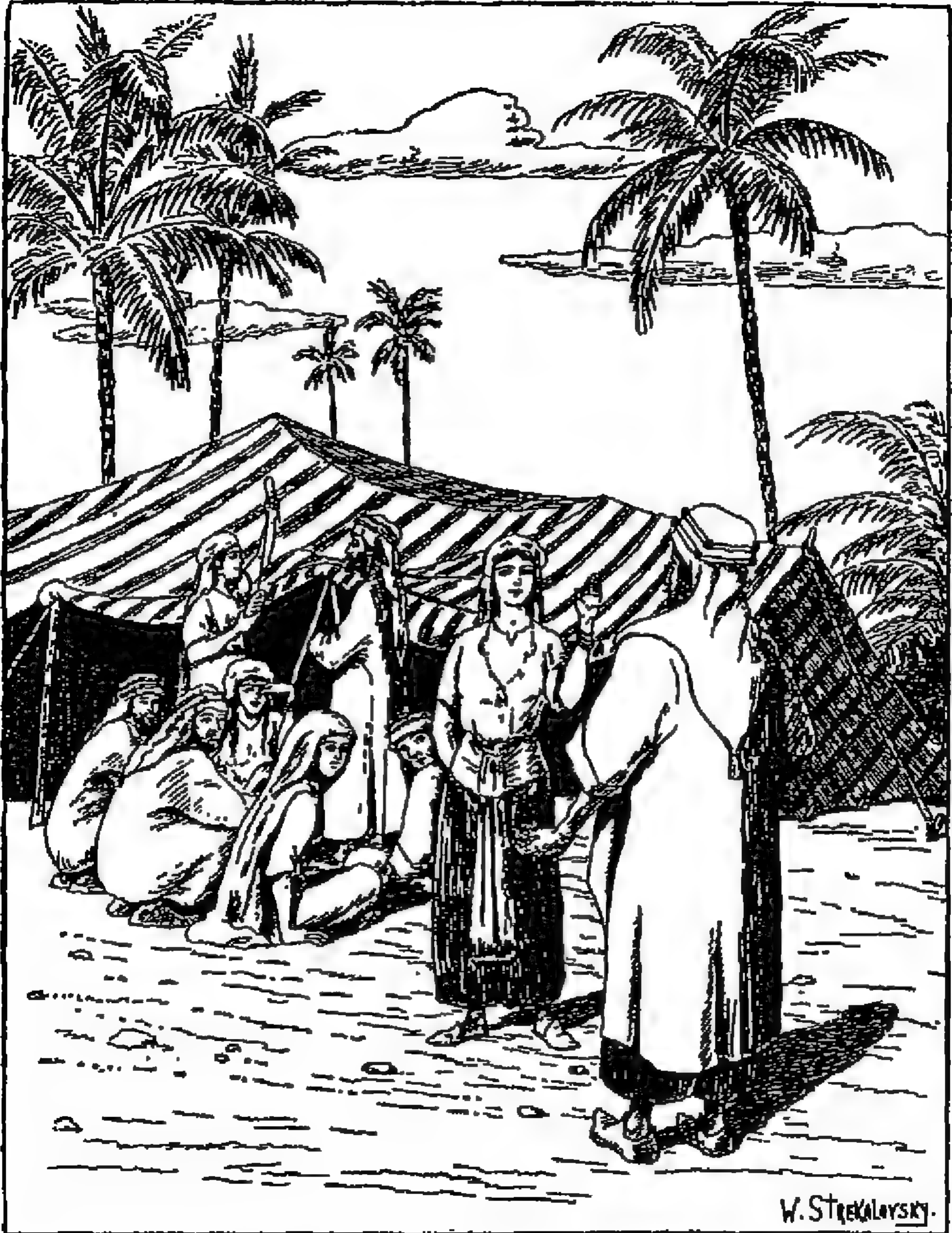
بين عين من الرقاق وأذن

حكل ما بيننا سلام ورد

ومضى شأنه وسرت لثاني

وتبسمت في الطريق إليه

[تهيب بالساحرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه] :



قد تغني بليلة الغيل ، ماذا كان بالغيل ين قيس ويني !

أَوْغَلَ اللَّيْلُ فَلَنَقُمُ

ابن ذريح [موسلا] : بل رويدا واسمعي ليل

ليلى : خل عني دعني !

[تدخل خباءها بينما يتفص السامرون فلا يتناقل منهم

في القيام إلا منازل - الهرج والأسف يسودان الجميع]

بشر : انفض سامر ليلي وكان حفلا كريما

سعد : قد فضله ابن ذريح ففض عقدا نظما

أثار ليلي فهاجت كما تنفر ريما

نرى أتبغض قيسا

ابن ذريح : لا تقلبوا الحب بغضا

ليلى العشيّة غضبي ويصبح الصبح ترضى

مسعد : أنعم (منازل) مساء

منازل : نعيم سعد مساء

هناء : شر مسيت بخير

بشر : أنعمى هندُ مساءً

هند : نحن يحوينا طريقُ فامضِ بلغنى الخبَاءُ

سعد [ضاحكا] : احذرى يا هند منه !

هند : أنا لا أخشى اعتداء

قد عرقتم وعرفنا كيف يصطاد الأطباء

[تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر

قيس وزباد من جانب المرح الآخر]

قيس : سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى

وما البيدُ إلا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملائتُ سماءَ البيد عشقا وأرضها

وحملتُ وحدي ذلك العشقَ ياربُّ

ألم على أبيات ليلي بي الهوى

وما غيرَ أشواقٍ دليلٌ ولا ركبُ

وباتت خيامي خطوةً من خيامها

فلم يشفني منها جوار ولا قرب

إذا طاف قلبي حولها جن شوقه
 كذلك يطفي الغلة المنهل العذب
 يحن إذا شطت ويصبر إذا دنت
 فياويح قلبي كم يحن وكم يصبر
 وأرسلني أهلي وقالوا امض فالتمس
 لنا قبسا من أهل ليلي وما شبوا
 عفا الله عن ليلي لقد توت بالذي
 تحمل من ليلي ومن نارها القلب

منازل [وقد سمع هممة الصوت ورأى شبحينا في الظلام] :

أرى شبحا مقبلا في الظلام	وأسمع هممة في الدجى
هو ابن الملوّج دل الهزال	عليه ونم اضطراب الخطا
عدوى المنين وما بيننا	وما بين صاغيتنا حفا (*)
روى شعره البدو والحاضرون	وشعرى ليس له من روى

(*) صاعبة الرجل : قومه .

وهام بليلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظماً في البلاد وجئتُ فما ازداد إلا نُهي
وإني لأبدي إليه الوداد وأخفى له في الضلوع القلي
وأحسنه حسداً ما علمتُ أقيسُ الشقى به أم أنا
[يتقدم منها خطوات] :

من الراكب الليل ؟ قيسُ أنى ؟

قيس : منازل ؟ ما أعجب المتلقى !

منازل : أقيساً أرى في ظلال البيوت وعهدى بقيس حليف الفلا

قيس : منازل ، من أين ؟

منازل : من عندها من السمر المتع المشتى

قيس [حقاً] :

أمن عند ليلي تجرّ الذبول حديثٌ لعمراً أى مفترى

منازل : بل الصدق ما قلتُ يا ابن الملو

ج

إخساً متى قلت صدقا متى ؟

فليس

وما كنت تصنع ؟

منازل [ساخرا] : ما يصنعون لهوت لعمري فيمن لها

وسامر ليلي كثير الزحام فليست تعدُّ شباب الحمى

وليس تفيض على من تشاء رضاها وتحرمه من تشاء

زياد [مفضبا] :

منازل ، قيس ، سبيلك قيس ! وكل لي تأديب هذا الفتى

منازل [وقد أخذ بتلاييه] :

تؤدبني زياد وأنت ظل لمجنون وراوية لهاذي

وترغم أنى ندد لقيس رصيت من المصائب غير هذى

زياد : من قال ذا ؟ أنت لقيس ندد ! لم يبق فيك يا حياة جد

إمض بنا ناحية يا وغد

[يجزه إلى حيث تسمع أصواتهما من بعيد

ثم تختفي فيقبل قيس على تحاء ليلي وينادى]

قيس : ليلي !

[المهدي خارجا من الخباء] :

من الهاتف الداعي؟ أقيس أرى؟

ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

قيس [نجسلاً] : ما كنتُ يا عمُ فيهم

المهدي [دهشاً] : أين كنت إذن ؟

قيس : في الدار حتى خلتُ من نارنا الدار

ما كان من حطب بخرلٍ يساحتها أودى الرياحُ به والضيفُ والجار

المهدي [منادياً] : ليلي ، انتظر قيس ، ليلي

ليلى [من أقصى الخباء] : ما وراء ألى ؟

المهدي : هذا ابن عمك ما في بيتهم نار

[تظهر ليلي على باب الخباء] :

ليلى : قيس ابن عمي عندنا يا صرحبيا يا صرحبيا

قيس : مُنعت ليلي بالحيا ة وبلغت الأربا

ليلى [تنادي جارياتها بينما يختفي أبوها في الخباء] :

عفراء

عفراء [ملبية نداء مولاتها] : مولاتي

ليلي : تعال لي تقض حقا وجبا

خذي وعاءً واملئيه لابن عمي حطا

[تخرج عفراء وتتبعها ليلي]

قيس :

بالروح ليلي قضيت لي حاجة عرضت ماضرها لوقضت للقلب حاجات

مضت لأبياتها ترتاد لي قبسا والنار يا روح قيس ملء أبياتي

كم جئت ليلي بأسباب ملفقة ما كان أكثر أسبابي وعلاقي

[تدخل ليلي]

ليلي : قيس

قيس : ليلي يجاني كل شيء إذن حضر

ليلي : جمعنا فأحسننا ساعة تفضل العمر

قيس : أتجدد ؟

ليلي : ما فؤا دي حديد ولا حجر

لك قلب فسله يا قيس ينبتك بالخبر

قد تحملتُ في الهوى فوق ما يحمل البشر
 قيس : لستُ ليلاي داريا كيف أشكو وأنفجر ؟
 أشرح الشوق كله أم من الشوق أختصر ؟
 ليلى : نبني قيس ما الذي لك في اليد من وطر ؟
 لك فيها قصائد جاوزتها إلى الحضر
 كلُّ ظبي لقبتَه صُغت في جيده الدر
 أترى قد سلوتنا وعشقت المَها الأُحر ؟
 قيس : غررت ليلى من المَها والمَها منك لم تغر
 حُبَّ اليد أنها بك مصبوغة الصُور
 لست كالغيد لا ولا قر اليد كالقمر

ليلى [وقد رأت النار تكاد تصل إلى كم قيس] :

ويح عيسى ما أرى

قيس ؟

ليلى

قيس :

خذ الحسندر !

ليلى [مشفقة] :

قيس [غير آبه إلا لما كان فيه من نجوى] :

رُبُّ بَحْرِ سَأَلْتُهُ	هل تنفست في السحر
ورياح حسيبها	جررت ذيلك العطر
وغزال جفونه	سرفت عينك الحور
ليلي : اطرح النار يا فتى	أنت غادٍ على خطر
لهب النار قيس في	كملك الأيمن انتشر

قيس [مستمرا بعد أن رمى النار من يده] :

وذئاب أرقُّ يا	ليل من أهلك الغير
أنت بي ومرغت	في يدى الناب والظفر
ويلح قيس تحرق	راحتاه وما شعر
ليلي : أنت أجمت في الحشى	لا عجم الشوق فاستعر
ثم تخشين جمرة	تأكل الجلد والشعر

[يترج قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الإغماء] .

ليلى: فذاك أباي قيس، ماذا دهاك؟ تكلم، أين قيس، ماذا تجد؟

قيس: أحس بعيسى قد غامت وساقي لا تحلان الجسد

[يختر صريحا إلى الأرض فتلقاه على صدرها صارخة].

ليلى: يا لأبي للجار، قيس صريع النار، ملق بصحن الدار

[يخرج أبوها من الحناء على صوت استغاثتها].

أبي ها أنت ذا جئت أغشنا أبت أدرك

لقد حرق بالنار فما يصحو إذا حرك

المهدي: يرانا الناس يا ليلى

ليلى:

أبي، أنف الناس من فكرك

على غيري ولا غيرك

على سري ولا سرك

بإشفاقك أو برك

فأعنه إلى صدرك

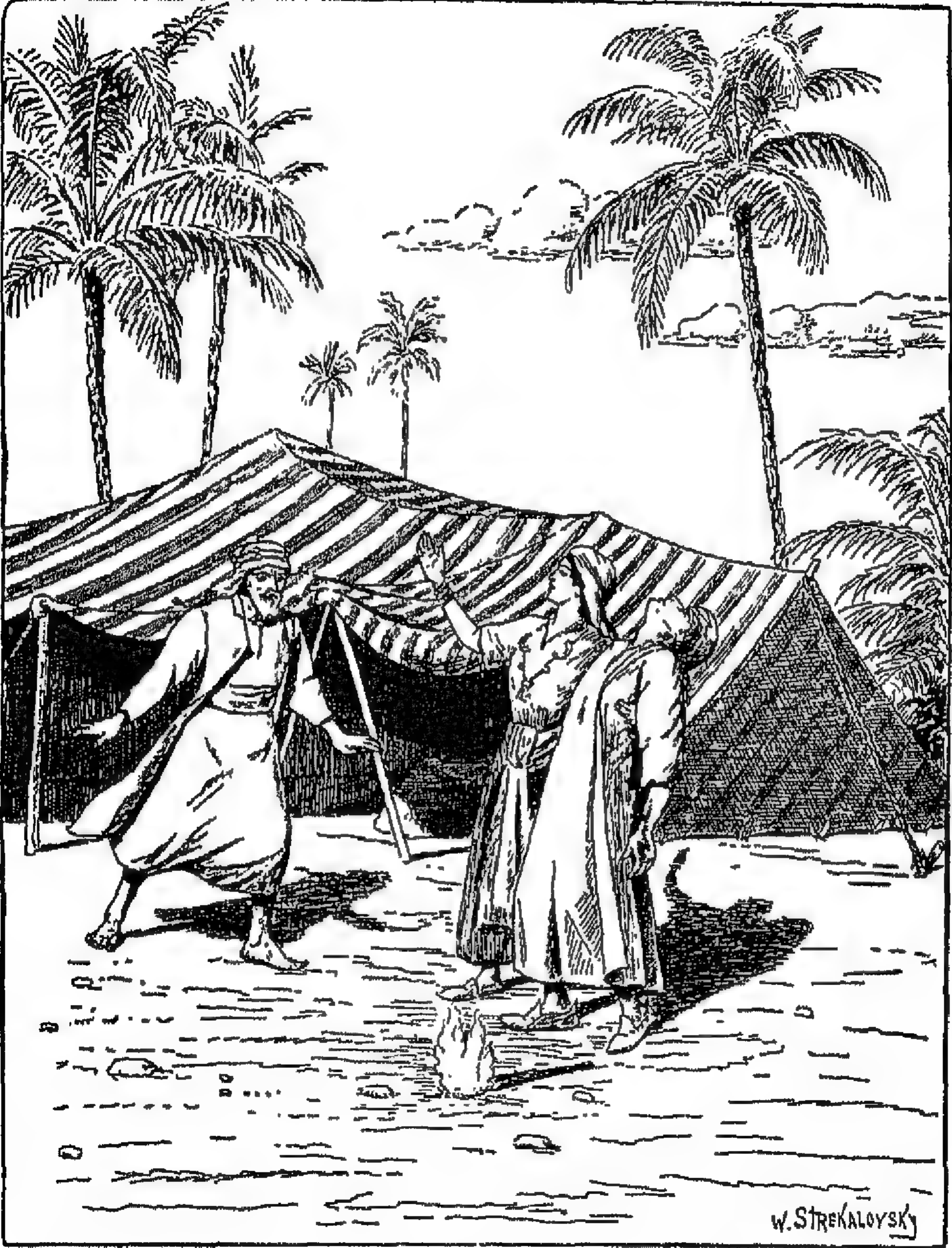
هنا لا تقع العين

ولا يطلع إنسان

ولا أجدر من قيس

أبي، صدرى لا يقوى

المهدي [وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه]:



أغشنا أبت أدرك

أبي ها أنت ذا جئت

رعاك اللهُ ياليلي وكافاك على صبرك
أخاف الناس في أمرى وأخشى القلب في أمرك
وكم داريتُ ياليلي وكم مهدتُ من عذرك
ولست الوالد القاسى ولا الطامع في مهرك

[يتأجى قيسا في غيوبة] :

أبا المهدى عوفيت ويابسورك في عمرك
أراني شِعرك الويل وما أروى سوى شعرك
كما لَدَّ على الكره كلامُ الله للمشرك

[يتحرك قيس ويدعو عليه كأنما يفتق فيناديه]

المهدى : قيس

قيس [يحاول الوقوف فتسند له ليلي] :

عم ، لبيك عم

المهدى : حسبك فاذهب لا تطألى بعد العشيّة دارا

ليلى : أبتى ، لا تجرّ على قيس

المهدى : ليم لا

إن قيسا على القرابة جارا

ليلي : " أبتى، ماتراه كالفنن الذا وى نُحولا وكالمغيب اصفرارا؟
وتأمل رداءه ويديه تجدد النار أو تر الآثارا
أبتى، دعه يسترخ

المهدى : بل دعينا لا تزيدى ياليل سُخْطى انفجارا

قيس :

حسبُ ياليل، حسبُ ذلا لعمى وكفى حيلة له واعتذارا
عمُ ماذا جنيت ؟

ليلي : ماذا جنى قيس !

المهدى : نسيت الرواة والأخبارا

قيس : إنهم يافكون يا عم

المهدى : والغسلُ أليلاً غشيتَه أم نهارا؟

ما الذى كان ليلة الغيل حتى قلت فيها النسيب والأشعارا؟

قيس :

لم تكن وحدها ولا كنتُ وحدى إنما نحن فتية وعذارى

جمعنا نمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السمارا

ليس غير السلام ثم اقترقنا ذهبتمنة وسرت يسارا
المهدي :

إمض يا قيس إمض لا تكس ليلي كل حين فضيحة وشتارا
فكأنى بقصة النار تروى وكأنى بذلك الشعر سارا
وكانى ارتديت فى الحى ذلا وتجللت فى القبائل عارا
إمض قيس أمض

قيس : عم رفقا بليلى وبقيس ولا تكن جبارا
الحذار الحذار من غضب اللسبه ومن سُخطه الحذار الحذار
المهدي :

إمض قيس أمض جئت تطلب نارا أم ترى جئت تُشعل البيت نارا؟
[يخرج قيس]

« ستار »

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين نجد و يثرب ، على مقربة من حى بنى عامر »
 « حيث تبدو مضارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفح جبل توباذ — »
 « قيس و زياد جلوس إلى جذع نخلة ، يستشرفان شبحا يسير نحوهما »

قيس : زياد ماتلك ؟ من الجَوَّيريه ؟ أتلك (بلهاء) ؟
 زياد : أجل قيس ، هيه

[تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة] :

قيس : بلهاء كيف الحى ؟ كيف أميه ؟

بلهاء [وهى تضع القصعة] :

تسأل عنك كما سألت

[تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه]

زياد : بالله قيس إلا أكلت

[يشتد ميل قيس عن الطعام]

بلهاء [هامة لزياد] : زياد ، ما ذاق قيس ولا هما

زياد : طبخ يد الأم يا قيس ذق مما

الأم يا قيس لا تطبخ السما

[ينزع عن القصعة غطاءها] .

تعال تأمل قيس ، تلك ذبيحة

عسى اليوم نحر

قيس :

أين نحن من الأصحى ؟

زياد :

قيس : أرى صنع أمي يازياد ، فديتها بروحي وإن حملتها لهم والبرحما
ستحبرنا البلهاء

بلهاء بيئي

زياد :

ولا تكتمى عنا الحديث ولا الشرحا

يلها : لقد مر عراف اليمامة بالحى قمارعنا إلا زيارته صبحا
طوى الحى حتى جاء عن قيس سائلا

وأظهر ماشاء المودة والنصحا

ولاحت له شاة جثوم بموضع تحيلها ظلا من الليل أوجنحا

فقال اذبحوا هاتيك فالحير عندها فقام إليها يافع يحسن الذبحا

فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها فلم نال قلب الشاة نزعا ولا طرحا

فلما شويناها رقى بعزائم عليها وألقى في جوانبها المياحا

وقال اطلبوا قيساً فهذا دواؤه كأنى به لما تناوله صحى

زياد : تعلل قيس بالشاة عساها تذهب الحبا

فما العراف بالمجهول لا علماً ولا طباً

ولم تعلم عليه اليد تدجيلاً ولا كذباً

طيب جرب اليابس في الصحراء والرطبا

فذق قيس ولا ترتب بما قال وما نبأ

وتلك الأم يا قيس أطعها تطيع الربا

قيس : زياد اسمع وكن عوني وخل اللوم والعثا

إذا ما لم يكن بد فإني آكل القلب

زياد : قيس يبغى القلب يا بلهاء أين القلب أينما ؟

بلهاء : هو عندي ويسير ما اشتهى قيس علينا

هو في الشاة

زياد : هلمى أخرجى القلب إلينا

بلهاء : القلب ! أين القلب ؟ أين يا ترى وضعته ؟

يا ويح لي ! نسيتُ أني بيسدي تزعُسه !

قيس : وشاية بلا قلب يداوونني بها

وكيف يُداوي القلب من لا له قاب !

[تسير بلهاء الى الحى و يظهر منقار من ناحية الحى يلهون فى طائفتين

و اذ تقع ابصارهم على قيس و زياد تتغنى كل طائفة بغناء]

الطائفة الأولى :-

قيسُ عُصفورَ البوادي وهزارَ الربوات

طُرث من وادٍ لُوادي وغمرتَ الفلوات

إيه يا شاعرَ نجد ونجىَ الظبيات

أضميرَ الحبِّ وأبدي لأعفَ الفتيات

الطائفة الثانية :

قيسُ كَشَفَتَ العذارى وانتَهكتَ الحُرُمات

ودمَغَتَ الحى عارا فى السنين الغابرات

قد ذكَرَتَ الغيلَ دعوى واصطنعتَ الخسلوات

صَلَيْتُ ليلي يَلوى منك دون الفتيات



وشاة بلا قلب یدا وننی بها وكيف یداوی القلب من لا له قلب

[يلتقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهسم أن
يخصب بها الصغار ثم يتردد فينثر الحصى من يديه ، بينما
يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكاتبه نصيب]

قيس ، [مناجيا نفسه] :

قيس لا ، ساح صغارا	لا يحسون الخطيئة
إنهم فبا أنوه	بغاوات بريئة
لقنوها كلمات	زهرات أو بذية

زياد [وهو يصرف الصغار] :

إذهبوا عودوا إلى آبائكم	واذكروا قيسا بخيرا خبت
إذهبوا أوحوا إلى أترابكم	وليبلغ حدثا منكم حدث
سيطر الحب على دنياكم	كل شيء فاخلوا الحب عبت

[يجرى الصغار أمام زياد مضطربين ثم يخفون عن
الأنظار ، بينما يستلق قيس على الأرض في شبه إغماء]

ابن عوف إلى نصيب ، وزياد يطارد الصغار :

انظر نصيب ، ضجة وصبية	ورجل يرمى الصغار بالحصى
نصيب : أرى أميري نشأ تعلقوا	بابن سبيل متعب واهى القوى

ابن عوف : بل أمض سل

نصيب [معرضا زياد] : من الفتى ؟

زياد [لنفسه وقد رأى ابن عوف] : ماذا أرى ؟
[ثم يرد على نصيب] :

قيسُ إمام العاشقين

ابن عوف : أيهم
زياد : أجل ولكن الذي تبصره
ابن عوف : لعنه قيس الذي نعرفه
فأين ظله زياد ؟

زياد : أنا ذا
ابن عوف : أنت الذي تهدي لكل قرية
ما باله يطأ التراب حافيا
خذ يا نصيب بردتي فغطه
زياد : احفظ عليك البرد يا أمير لا
إن لقيس من ثياب الوشى ما
أنا الذي يتبعه حيث مشى
مُجاجة النحل ونفحة الربا
ويقطع البسد ممزق الردا
لا يلحقنه من العرى أذى
فقر إليه با بن سيد الحمى
يُفنى به العمر وما يعي اليلي

ابن عوف [مناجيا نفسه] :

يا وِجَّ قَلْبِي مَا خَلَا مِنْ قَسْوَةٍ مَا بَالُهُ رَقَّ لَقَيْسٍ وَرَثِي

[يقبل على قيس] :

قَيْسُ ، بُنَى

زياد : هَوِّ فِي إِغْمَاءٍ مِنْ وَجْدِهِ وَمَا أَظْنَهُ صَحَا

[يسمع صوت حاد من ناحية نجد . ويتعالى الصوت

قليلًا قليلًا حتى يظهر الحادي ومن وراءه قافلة تسير

إلى المدينة ثم يذوب الصوت قليلًا قليلًا حتى يتقطع]

أنشودة الحادي :

يَا نَجْدُ خُذْ بِالزَّمَامِ وَرَحْبِ

يَسْرِ فِي رِكَابِ الْغَامِ لِيَثْرِبِ

هَذَا الْحُسَيْنُ الْإِمَامُ ابْنُ النَّبِيِّ

النُّورُ فِي الْبَيْدِ زَادَ حَتَّى غَمَّرَ

أَحَدُ الْحَيَا فِي الْوَهَادِ أَحَدُ الْقَمَرِ

أَحَدُ جَمَالِ الْبَسَوَادِ زَيْنَ الْحَضَرِ

ابْنِ النَّبِيِّ

ابن عوف : سمعتم ؟ يا لك من رنة حادٍ مطرب
 زياد : ياليت شعري ما الركا ب من لواء المؤكب
 نصيب : قد بين الحادي فقل أصم أنت أم غبي ؟
 هذا إمام العرب هذا الحسين ابن النبي
 هذا الزكي ابن الزكي الطيب ابن الطيب
 عارضنا الحسين في طريقه ليثرب
 هذا سنا جبينه ملاء الوهاد والرئي
 قد جل حاديه جلا ل القاري المطرب

ابن عوف [هاما إلى نصيب] :

نصيب ، صه لا تسلكن بنا مسالك التهم
 ولا تظاهرن بالهوى لوارث البيت العلم
 احذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم
 نحن رجال دولة قوامية على الأمم
 ليس بعينها عى ولا بأذنها صمم



« نصيب صه لا تسلكن بنا مسالك التهميم ! »

تسمع في ظل القصو رقص رعيان الغنم
[إلى زياد مشيراً إلى قيس] :

زياد ، انظر فما انفك صريع الوجيد والذكرى
كما مرّ بالركب الـ محسني به مرّاً
فلم يشغل له بالاً ولم يوقظ له فكراً
رويدا سيدي مهلاً ولا تستغرب الأمرا
لقد سقناه بالأمس فحجّ الكعبة الفترا
فلما لمس الركن ومست يده السّترا
وقلنا الآن من ليلي ومن فتنها يسرا
سمعناه ينادي الله من ساحته الكبرى

ابن عوف : وماذا قال ؟

زياد : ما تاب
ولكن قال : يا رب من العشق ولا استبرا
فهاب الضر إن كان ملكت الخير والشر
هوى ليلي هو الضرا

وإن كان هو السحر فلا تُبطل لها سحرا
ويا ربَّ هب السلوى لغيري وهب الصبرا
وهب لي مَوْتَةَ الْمُضَنَّى بها لا ميتة أخرى

[يقبل على قيس ويميل عليه بحنان] :

حنانك قيسُ إلامَ الدهول أفق ساعةً من غواشي الخبل
صليلُ البغال ورجعُ الحذاء وضجةُ ركبٍ وراء الجبل
وحدٍ يسوق ركابَ الحسين يهزُّ الجبالَ إذا ما أرتجل
فلم يبقَ ماشٍ ولا راكِبٌ على نجدٍ إلا دعا وأبتهل
فقم قيسُ واضرع مع الضارعين وأنزل بجسد الحسين الأمل

[يسمع صوت حاد آخر قادما إلى نجد من ناحية يثرب ،

على رأس قافلة أخرى ، وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى]

أنشودة الحادي :

هلا هلا هيا * إطوى الفلاطيا * وقربي الحيا * للنازح الصب
جلاجل في اليد * شجيرة التريد * كنة الغريد * في الفن الرب

أناح أم غنى * أم لحمى حنا * جليجل رنا * في شُعب القلب
هلا هلا سيري * وامضى بتيسبه * طيري باطيري * للماء والعشب
طيري امبق الليلا * وأدركي الغيلا * العهد من ليلي * ومترل الحب
بالله يا حادي * فتش بتوباد * فالقلب في الوادي * والعقل في الشعب
يا قمر ايسدو * مطلعه نجمد * قد صنع الوجد * ماشاء بالركب
[يفيق فيس ثم يتلفت مصنيا إلى الحذاء]

فيس :

ليلى ، متاد دعا ليلي نخف له تشوان في جنبات الصدر عريده
ليلى ، انظري البيدهل مادت باهلها وهل ترئم في المزمارة داود
ليلى ، نداء بيلي رن في أذني سحر لعمرى له في السمع ترديد
ليلى تردد في سمعي وفي خلدي كما تردد في الأيك الأغاريد
هل المنادون أهلوها وإخوتها أم المنادون عشاق معاميد
إن يشركوني في ليلي فلا رجعت جبال نجد لهم صوتا ولا البيد
أغير ليلاي نادوا أم بها هتفوا فداء ليلي الليالي الخرد الغيد

إذا سمعتُ اسمَ ليليُ ثُبْتُ من خَبَلِي وثابَ ما صرَعْتُ مني العناقيدُ
كسا النداءَ اسمَها حسنا وحبَّبه حتى كأن اسمَها البشري أو العيدُ
ليلي ، لعلِّي مجنونٌ يُخَيَّلُ لي لا الحى نادوا على ليلي ولا نودوا

ابن عوف :

لا تكتبُ وتعالَ يا قيسُ استرح مما تكابد في الهوى وتلاق

قيس :

هل أنت آيس يا أميرُ جراحتي أم أنت من سحر الصبابة راقى؟

ابن عوف :

بل من رواتك قيسُ من زمنٍ مضى لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفة يابن عوف في غد من ذا أباح له دمَ العشاق
هدرت حكومته دمي فتحرشت بدم على سيف الجفون مراق

ابن عوف :

أرضيتني عند الخليفة شافعا

يا قيس؟

لا والواحد الخلاق

قيس [في أقة] :

بل عند ليلي فامض فاشفع لي لدى ليلي وناشد قلبها أشواق
 جثها فذكرها العهد وحفظها واذكر لها عهدي وصف ميثاق
 ليلي إذا هي أقبلت حقنت دمي كرما وفكت يا أمير وثاق
 ابن عوف .

الآن قيس اذهب فبدل حلة وترد غير ثيابك الأخلاق
 فالصبح تدخل حتى ليلي قيس في ركني وبين بطاتي ورفاق
 قيس [إلى زياد] :

أسمعت ما قال الأمير؟ زياد، طر نحو الحى بمنحاحى المشتاق
 اذهب وسل أمى أعز ملابسى من كل شامى وكل عراقى
 واذكر لها فضل الأمير، ولم تزل نعم الأمير قلائد الأعناق
 [يسر زياد نحو الحى بينا يمسح قيس بآبن عوف كالطفل] :

شكرا لصنعك يا أمير ودمت مقصود الرحاب
 عجل أمير

ابن عوف [ضاحكا] : بل انتظر أنسيت يا قيس الشاب ؟

قيس : مَنْ مُبْلَغُ أُمِّي الْحَزِينَةِ أَنْ عَقَلِي الْيَوْمَ ثَاب؟
وَمَنْ الْبَشِيرُ إِلَيْكَ يَا لَيْلَى بِقَيْسٍ فِي الرِّكَابِ؟
الْيَوْمَ أَهْلًا بِالْحَيَاةِ وَمَرْحَبًا بِكَ يَا شَبَابَ

« ستار »

الفصل الثالث

« قطعة من الصجر اهتدوا في يسارها طائفة من مضارب بني عامر ممتدة »
 « إلى ما وراء اليسار على سفح جبل توباذ — خباء مضروب إلى يمين »
 « هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية خيام الحى — على اليمين »
 « أشجار بان يقف في ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس وزباد »

ابن عوف: تراءى الحى للركب	وأشرقنا على الشعب
أفئق قيس أما في رؤ	ية الخيات ما يصي
ألا تهتف بالشكوى	إلى ليلى وبالغشب
قيس: ديار الحى من ليلى	سلام من شج صب
على الحى على الدار	على ليلى على الحب
غدا الركب على طيب	كريح المنسدل الرطب
فيا ليلى عسى اليوم	أبلى الشوق بالقرب
عسى الخطبة لا تنز	ل في ناديك كالخطب
عساهم لا يقولون	فتى مشترك اللب
ولا يذهب إحسانى	ولا يبقى سوى ذنبى

يقولون بها غنى لقد غثيتُ من كربى
سلى تُربككم مَرَعست خديّ على السُرب
وكم جُذتُ على الرمل ولم أُنخل على العُشب
بدمع مثل دمع الشكـل مغروِف من القلب
[يتطلع ابن عوف إلى ناحية الحى].

ابن عوف : قيس انتبه قيس

قيس : مَن المنادى !

الحى فى السلاح سدّ الوادى

ابن عوف :

على خصوم لُدِّ شِداد
لا تلقهم مُضِيع الرِشاد

وأنت قيسُ بعدحين غادى

قالق الرجال صاحى الفؤاد

قيس [متطلعا كذلك] :

تدبج فى السلاح ولا تراها

وإن كثر السوادُ لدى حماها

على عيني فلست أرى سواها

أُبِصرُ يا بنَ عوفٍ حى ليلي

فما لى لا احققُ غير ليلي

لقد ألقى هوى ليلي حجابا



أتبصر يا بن عوف حتى ليلي قد جيج في السلاح ولا تراها

وبغضت النصب إلى ليلي وسد مسامعي عنه هواها

[يسمع من بعيد ومن ناحية الخى ليل وقفقة

سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئا فشيئا]

أرى حى ليلي فى السلاح ولا أرى سلاحا كهجر العامرية ماضيا
 دى اليوم مهدور لليل وأهلها فداء لليل مهدرات دمائها
 لى الله! ماذا منك يا ليل طاف بى وما ذلك الساقى وما ذا سقانيا
 دعونى وما عندى لليل أقوله ليل وأستنشى الذى عندها ليا
 أهيم فاستعدى نهارى على الجوى وأقبع ليل أستجير القوافيا
 (فما أشرف الأيفاع إلا صبابه ولا أنشد الأشعار إلا تداويا)
 إذا الناس شطرا البيت ولوا وجوههم تلمست ركنى بيتها فى صلاتيا
 (أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا)
 توارت وراء الجمع ليل نخانها فم كابتسام الصبح يابى التواريا
 وطيب به خضت حوى الطيب كله فقله الأفاحى أوفقه الفواغيا
 فأحسست من فرعى لساقى هزة كأن عيانا منك لاقيا عيانيا

دعونا وما يسبق إذا ما فنيتم^و فوالله ما شيء^و خلا الحب^و باقيا
 مشى الحب في ليلي وفي من الصبا^و ودب الهوى في شاء ليلي وشائيا
 وإني وليلى للأوانحر في غيد^و لشغل^و كما كنا شغلنا الأوليا

[يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح

فيلقاه زياد - تسمع أصوات الحى من قريب]

ابن عوف: زياد أدركه أدرك^و إني أرى الداء عادة

لقد تضاعل قيس^و واصفتر مثل الجراد

وليس قيس بملق^و إلا إليك قياده

الآن أسمع لقيس^و سعي أخاف فساد

قل بنا وبقيس^و حتى يصيب رشاده

[يحملون قيسا ويختفون به وراء شجر البان ، وتظهر طلائع الحى
 من اليسار وعلى رأسها المهدى ومنازل ، وكلهم شاكي السلاح]

المهدى :

يا قوم إن البغى شر مركبة^و والخير في جانب من يجنيه^و

هذا ابن عوف قد أظلم مركبه^و وإن قيسا في الركاب يصحبه^و

جاء يروم صهركم ويخطبُهُ وقد علمتم كيف ساء مذهبه
وكيف طال بابتى تشبُّههُ

صوت : كَلِّهِ إِلَى سِيوفِنَا تَوْدِيهِ لقد وجدناه وكنا نَرْقُبُهُ
المهدي : لا ، دم قيس دُمْنَا لَا تَقْرِيهِ يكفيه منا أننا نُحْيِيهِ
ونَصْرِفُ الْأَمِيرَ عَمَّا يَطْلُبُهُ

صوت آخر : شيخ الحمى لا تضعف ولا تَرْدَدْ وَقِيفِ
دُدْ عَنْ عَقِيلَةِ الْحَمَى وامنع حياض الشرف
لا تُصْغِ لِلشَّافِعِ فِي قيس ولا المستعطف
ليس ابنُ عُوْفٍ فِي الَّذِي سعى له بالمنصف
أَبِالْأَمِيرِ بَعْدَ مَا أجار قيسا تحتفى !
لَا تَتَخَشَّ بِأُسِهِ وَمِنْ رجاله لا تخف
نحن كعثمان وليلى بيننا كالمُصْحَفِ

[يظهر ابن عرف وحاشيته من وراء الشجرة ومعهم زياد]

ابن عوف : عَمَّ أَبَا لَيْلَى صَبَاحًا

المهدي :

عَمَّ صَبَاحًا يَا بَنَ عَوْف

لَيْسَ ذَا مَوْطِنَ خَوْف

ابن عوف : قُلْ لَهُمْ يُلْقُوا السَّلَاحَ

صوت من الحى :

لَيْسَ ذَا شَأْنِ الْوَلَاةِ

مُسْتَبِيحَ الْحُرْمَاتِ ؟

يَا بَنَ عَوْفِ يَا أَمِيرُ

كَيْفَ تَتَمَيَّ وَتُجْهِرُ

وَأَسْمَحَ النَّاسَ يُطَوِّنَ رَاحَ

ضَيْفٌ أَنَا ، وَمَا مِنْ السَّامِحِ

مَا جِئْتُمْ يَا قَوْمُ لِلْكَفَاحِ

ابن عوف : عَامِرُ يَا أَجَاوِدَ الْبِطَاحِ

مَالِي وَلِلسَّيُوفِ وَالرَّمَاكِ

رَدَّكَ وَجْهَ الضَّيْفِ بِالسَّلَاحِ

بَلْ جِئْتُمْ لِلتَّوْفِيقِ وَالْإِصْلَاحِ

[تحدث ضجة في جانب الحى وتصايح وتهامس

ثم يلقى كثير منهم السلاح ويغمد السيوف]

جُدْ لَقَيْسٍ بِالْحَيَاةِ

وَنَجِىْ الْفَلَسِيَّاتِ

وَلَيْسَ أَهْلًا لِدَمِّ

صوت من الحى : يَا أَبَا لَيْلَى بَلِيلَى

إِنَّهُ شَاعِرٌ نَجِيدٌ

صوت آخر : قَيْسُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ

نَجْمٌ أَضَاءَ بَنَجْدَ سَمَا عَلَى كُلِّ نَجْمِ
هَبْوَهِ جُنَّتْ بِلِيلِي لَيْسَ الْغَرَامُ يُجْرِمُ

منازل [حيث يستقبل الجمع خطيباً] :

إِنَّ قَيْسًا مَعَشَرَ الْحَى أَخُ وَابْنُ عَمِّ أَفْنَه تَبْرَأُونُ؟

أصوات : لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ

منازل : أَصْغُوا لِي إِذْنُ ثُمَّ ظَنُّوا كَيْفَ شَتَمَ بِي الظَّنُونُ
إِنَّ قَيْسًا شَاعِرُ الْبَيْدِ الَّذِي لَا يُجَارَى أَفَاتَمُ مُنْكَرُونَ؟

أصوات : لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ

منازل : أَصْغُوا لِي إِذْنُ ثُمَّ ظَنُّوا كَيْفَ شَتَمَ بِي الظَّنُونُ
إِنَّ قَيْسًا سَيِّدٌ مِنْ عَامِرٍ وَابْنُ سَادَاتٍ ، أَفِيهِ تَمْتَرُونَ؟

أصوات : لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ

منازل : أَصْغُوا لِي إِذْنُ ثُمَّ ظَنُّوا كَيْفَ شَتَمَ بِي الظَّنُونُ
إِنَّ قَيْسًا قَدْ بَنَى الْمَجْدَ لَكُمْ وَلَنْجِدَ أَبْقَيْسٍ تَكْفُرُونَ؟

أصوات : لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ

منازل : أصغوا لي إذنت
 إن قيساً كاملٌ في عقله
 ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 أو أنستم على قيس الجنون؟
 أصوات : لا ورب البيت

منازل : أصغوا لي إذنت
 أنا لم أعدل بقيس شاعراً
 ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 لا ولا أتم بقيس تعدلون؟
 أصوات : لا ورب البيت

منازل : أصغوا لي إذنت
 أنا في ودي وإعجابي به
 ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 لا يداني الرواة المعجبون
 شعره يبق ويغنى غيره
 شعر قيس عبقرى خالد
 ليس كل الشعر ترويه القرون
 ليت له لم يتخلله المجون
 ولو أن المتعجب شاعر
 غير قيس أو شك الخطب يهون
 رب شعر قال في ليلي ، به
 هتف البدو وضح الخاضرون
 إنني أخشى عليكم عاره
 رب عار ليس تحوه السنون

ضجرت ليلي وضجّت أمها
وغدّا كلّ فتى من عامرٍ
أصوات كثيرة : هو ماقلت

منازل : إذن ما بالكم
هوذا قيسٌ مع الوالى أتى
وأبوليلي امرؤٌ أدري له
بعد حين يعبت القومُ بكم
آن يا قومُ لكم أن تعلموا
قيسٌ لم يترك ليلي حُرمةً
صوت : ما جئنا لا بد من تأديبه
صوت آخر :

إن بالسَّوطِ يربّي الماجنون

صوت : نأخذ الحى عليه

آخر : ولنقف دون ليلي وحماها كالحصون

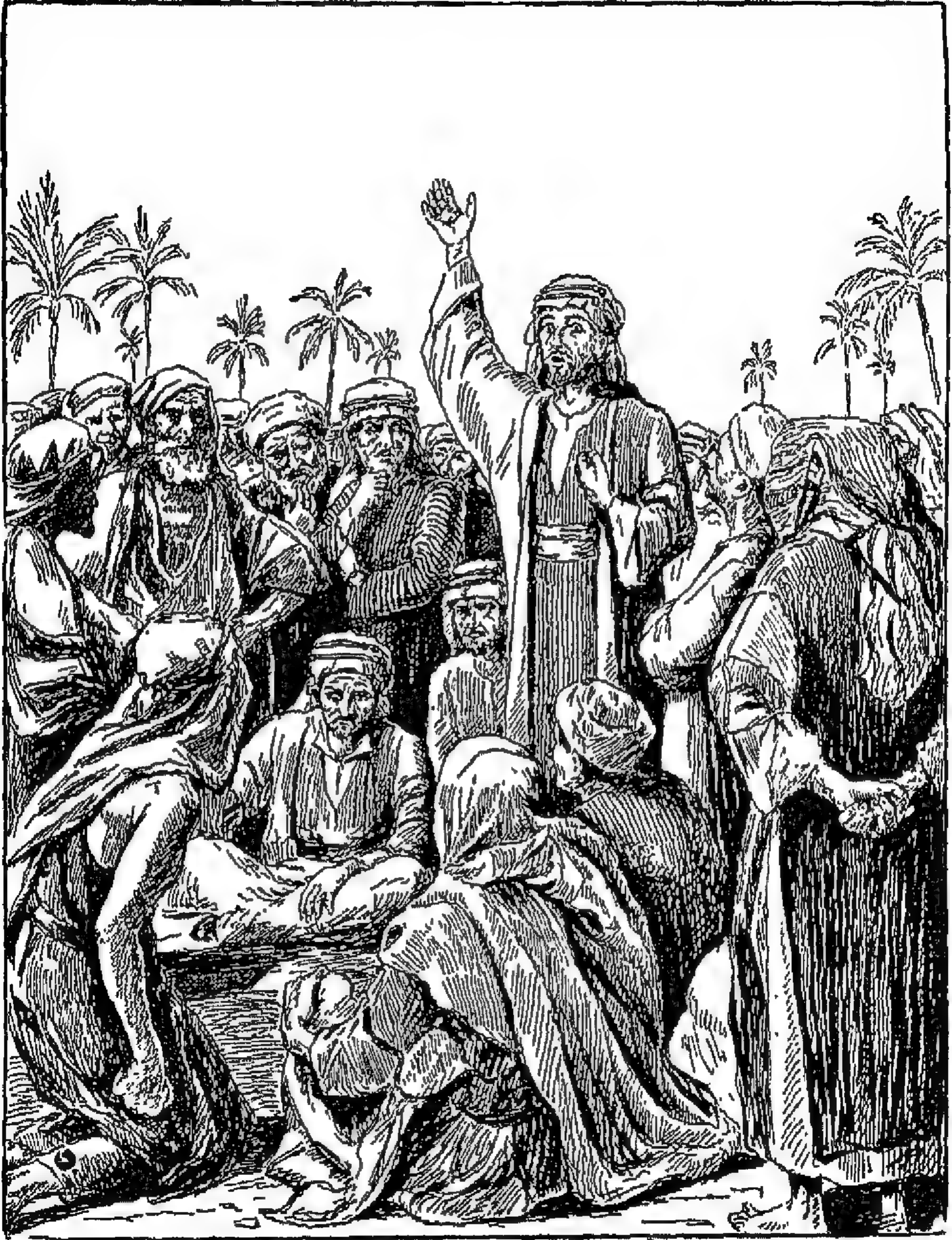
منازل : حَلَّ السلطان بالأمس لكم دم قيس ما الذي تنتظرون
صوت : حَلَّ السلطان بالأمس لنا دمسه !
أصوات أخرى : إنا بقيس فأتكون

[خجيج واندفاع]
صوت : مُنَاز، يابن العم ما هذا الخبر رفعت قيساً فجعلته القمر
والآن أغريت بقتله الزمر كفعل جزار اليهود بالبقر
برأها من العيوب وعقر

[يصعد بشر منبراً للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس] :

قائل : ارجعوا يا قوم هذا منبر وخطيب
[يسأل أحدهم] : ليت شعري من يكون
آخر : أو أعمى أنت هذا بشر
آخر : هل يحسن الخطبة بشر ويبين
[يحاول منازل أن ينسل من الجاهير] :

بشر : قف مناز اسمع سمعت الرعد من جانبي صاعقة فيها المنون
وسمعت الذئب في جوز الفلا وسمعت الليث في جوف العرين



حمل السلطان بالأمس لکم دم قيس ما الذي تنتظرون ؟

أخطيب أنت أم خطب وإن لم تهن والخطب أحيانا يهون
منازل [صائحاً]: بشر ،

بشر : قف !

منازل : مالك يا بشر ولي؟
بشر : لِمَ إذن حاربت قيساً لم تصن
منازل : قلتُ بشر الحق

بشر : خلّ الحق ما
إنما أنت لقيس حاسد
كلما حدثت عنه عامراً
ترسل الزفرة تلتوا أختها
يا مناز يا بن عمي أصغ لي
منازل : دعوني

بشر [من المنبر]: دعوني فلا بد لي

رجل : أنا ناك

بشر : لا بد أن أقتله

	منازل :	دعوني
	بشر :	دعوني
	رجل :	دعوه تركوه
ومن كثف النذل أو كبّله ؟	آخر :	
	منازل :	دعوني
	رجل :	دعوه
يقول الوعيد ولن يفعله	آخر :	كلا البطلين
	بشر :	دعوني
	رجل :	تقدم
	منازل :	دعوني
	رجل :	انطلق
دعوني	بشر :	
جئه	رجل :	
دعوني	منازل :	
أمش له	رجل :	
ولا تخشوا الوقعة المقبلة	آخر :	تتحوا واخلوا سبيليهما

بشر : منازل في عقله كامل

منازل :

وعقلك يا بشر ما أكله

وتقفز كالأكبش المرسلة

وأفلق رأسك كالحنظلة

وماذا انتفاعي بالولولة

ووالله ما قلت إلا الكذب

وقد زاد عن حرّمات العرب

ولا تأخذ الأمر دون السبب

وجلب الظنون وخلق الريب

وأفرغ فيكم سُموم الرقب

معظمة من قديم الحقب

وجهلك ما ذا عليهم جلب

لنفسك ليس ليلي الغضب

لتحظى بيلي إذا ما ذهب

بشر : أنتزعو على الحي تنزوالديوك

وتفلق رأسي كرمانة

فماذا يرد عليك العويل

زياد : منازل كنت كثير الكلام

صوت : أتزعمه كاذبا يا زياد

زياد : رويدك لا تتخدع يا فتى

فلم يبع إلا خداع الجموع

وأثرفيكم وفي آخرين

صوت : منازل دافع عن سنة

زياد : تأمل منازل سُخط الجموع

أجل قد غضبت ولكنما

تخص على قتل قيس الرجال

أصوات : يُريدُ ليحظى بليلى ؟

زياد : نعم

صوت :

تَكَلَّمْ
أَيْنَ

صوت آخر :

ثالث :

إِنَّ هَذَا عَجَبٌ

زياد : أَلَمْ يَكْ يَغْشَى النَّدى وَيَطْلُبْ لَيْلى أَشَدَّ الطَّلَبِ

صوت يخاطب المهدي :

إذن كان يخطب ليلي ؟

المهدي : نعم

صوت :

إذن قد تبجنى

صوت آخر :

إذن قد كذب

زياد : منازلُ ، قل لهم كم ضررُ غسَّتْ لليلي وكم أعرضتْ لم تُجِبْ

صوت : منازلُ ، اخذعْ وغشْ غيْرِي

آخر :

قد جازَ إلا على كَذْبِكَ

ثالث : ما أنت إلا جسيو شقيُّ تحبُّ لَيْلى ولا تُجِبُّكَ

[تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال

في ركن قصي من أركان المسرح يتحدثون]

وليلي فكلُّ له مذهبٌ
وأىُّ الفريقين تستصوب
ولى نظرةً قائماً تكذب
وقيسُ على فضله أخيب
عريب له فيكم مأرب

الأول : قد اختلف الحى فى أمر قيس
وأنت إلى أى رأى تميل
الثانى : إذا صدقت نظرتى فى الأمور
منارلُ غادِ على خيبةٍ
وقد يُخفقان ويلقى النجاح

الأول : غريب ؟

الثانى : أجل من نواحى ثقيف

الأول :

الثانى :

الأول :

ومن ذاك ؟

ورد

وما يطلب ؟

وقيل أتى عامراً يخطبُ
أما من حسابٍ لها يحسب ؟
عجوزاً على الرأى لا تغلب
وتعطى التقاليد ما توجب
إذا قل بالسلف المعجب

الثالث : رأيناه فى الحى يمشى الحياء
الأول : ولىلى ابنة الشيخ ما رأيها
الثانى : أراها وإن لم تخط الشاب
تصونُ القديم وترعى الرميم
وبالجاهلية إعجابها

ومن سُنَّة البِيدِ تَفْضُ الأَكْفُ
 فلا تَعْجَبُوا إنْ جَرَى حَادِثُ
 وإنْ رَضِيَتْ وَرَدَ بَعْلَا لَهَا
 فَيَا طَالَمَا التَّمَسْتَ مَهْرَبَا
 مَنَازِلُ : بَنَى عَامِرٌ لَا تُضَيِّعُوا الحُلُومَ
 هَبُّوا لِي آذَانَكُمْ إِنِّي
 خَطَبْتُ وَأَخْطَبُ لَيْلِي غَدَا
 وَقَدْ تُعْرِضُ الْيَوْمَ لَيْلِي فَلَا
 فَمَا قَيْسُ أَجْدَرُ مِنِّي بِهَا
 زِيَادُ : إِلَيْكَ مَنَازِلُ ! لَا تَتَرَنَّ
 وَلَا يَسْتَوِي الشَّاعِرُ الْعَبْقَرِيُّ
 مَنَازِلُ : وَمَا أَنْتَ ؟ بَيْنَ لَنَا يَا زِيَادُ
 زِيَادُ [بِمَسْكَ بَذْرَاعِ مَنَازِلُ] :
 من العاشقين إذا شَبَّوْا
 يُحَدِّثُ عَنْهُ وَيَسْتَغْرِبُ
 وَقَيْسُ الأَحَبُّ لَهَا الأَقْرَبُ
 وَأَرْضٌ ثَقِيْفٌ هِيَ المَهْرَبُ
 فَإِنَّ الأَنَاءَةَ بِكُمْ أَجْمَلُ
 أَجِدُّ وَصَاحِبُكُمْ يَهْزِلُ
 وَمَا لِي يَا قَوْمُ لَا أَفْعَلُ
 أَضِيقُ ، عَسَى فِي غَدٍ تُقِيلُ
 وَلَا هُوَ خَيْرٌ وَلَا أَفْضَلُ
 بِقَيْسٍ قَدْ اخْتَلَفَ المَنْزِلُ
 وَمَنْ هُوَ مِنْ بَاقِلٍ أَبْقَلُ
 سَتَعْلَمُ مِنِّي مَا تَجْهَلُ

هلمُّ مناز، هلمُّ الصراع! وودّع ضلوعك وأنع الذراع

منازل: خلّ زيادُ خلّ عن ذراعى

زياد: سألت ما أنت؟ فأصيح، راع:

إني أنا ممزقٌ الأضلاع

[ثم يجره من ذراعه ويمضى به إلى خارج المسرح]

صوت: ماذا يكون يا ترى؟

آخر: هيووا نرى هيووا نرى

آخر [وهم يتدافعون]:

زيادُ غيرُ هازل

آخر: نُوحوا على منازل

آخر: حمامةٌ وبازى

آخر: هلكت يا مناز

آخر [من بعيد]: اهرب من البراز

[يخلو المسرح الآن إلا من المهدى وابن عوف

ونصيب ثم تسمع ضرخة من وراء الشجر]

المهدى : ما بقيس يا بن عوف ؟

ابن عوف :

إنه مُسمى عليه

كُبروا في أدنيه

المهدى : قيس لا بأس عليك

[صوت من وراء الشجر] :

الله أكبر

الله أكبر

ابن عوف [لنفسه] :

وإن سكبوا فيها أذان يلال

إذا ما بدت ليلي بشكل غزال

وراء بيوت أو وراء رخال

عزيز علينا أن نراه يسيل

ولى مذهب في الوالدین جميل

بعيدا لعل الشر عنه يزول

عليك لطغيان الظنون سبيل

وأجلب فتیان وضج كهول

تصول وما تدري علام تصول

سدى كبروا ما أذن قيس مفيدة

ولكن على ليلي يفيق وشبهها

ويصحو على ليلي إذا ردد اسمها

المهدى : دم الود والقربى وإن كان ظالما

وإني لإنسان وإني لوالد

فرققا بقيس يا أمير ونحوه

ابن عوف : أناة أبا ليلي وحلما ولا يكن

رددتم ركابي واتهمتم زيارتي

تأمل تجد جمعا مغیظا وكثرة

رؤوسٌ تترى الشرف فيها وراءها نفوسٌ ذئابٌ مالهتن عقول
 تطلب أن يلقى إليها بجثة على غير جوع أو يساق قتيل
 نواظرٌ ما يأتى به اليوم من دم وإن لم يساورها صدى وغليل
 نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعي وقومك نار الطرد حين أميل
 أبيت على القول قبل استماعه فلم تنصفوا والمنصفون قليل
 فهل لي أبا ليلي بناديك وقفة فإن الذى قد جئت فيه جليل
 وما أنا مرء السوء أورجل الأذى ولكن سفير خير ورسول
 ولم اتخذ جاه الأمور ذريعة ألا إنما جاء الأمور يزول
 المهدى : بقيتم بخير يا ولادة أمية ولا يزال يقوى ركنكم ويطول
 [مشيرا إلى باب الخباء] :
 هنا مجلس ناوى إليه لعلنى أقول صوابا أو عساك تقول
 وثم ترى ليلي وتسمع قولها وليلى لها رأى يساق جميل

فسلها عسى أن نهتدى ما جوابها
إباءاً ورداً أو رضى وقبـوـك؟

[يهم ابن عوف بمخلع نعليه] :

المهدى : أتخلع نعليك ! لا يابن عوف
أتمشى إلى منزلى حافيا
ابن عوف : خلعتُهما وانتعلتُ الترابَ
تَسِيدُكَ بِاللّهِ لَا تَفْعَلْ
فديتُك، من أنا ! ما منزلى !
إلى خيمة السيد المفضل

نصيب [متدخلًا] :

دعه يا مهدى يفعل
كما لحسين بن عليّ
الحسين انتعل التراب
فراه حافيا في
إنما يرمى لمعنى
هو بالعشاق يعنى
بب إلى والد لبنى
ساحة الدار فحنا

قال لا أملك يا بن السـمصطفى بنتاً ولا ابناً
أنت في الدار أمير
فبما شئت فرنا

لنفسه : يا دهر در بما تشا
ويا حوادث اهزلى

ويا وظيفة اعزُبي ويا جارية ارحلي
 يعني ابنُ عوف أن يكو ن كالْحُسَيْن بن علي!
 [يدخلان وينادي المهدي:]

هو الضيفُ ياليلِ هاتِ الرُّطْبُ وهاتِ الشَّوَاءَ وهاتِ الحَلَبُ
 وهاتِ من الشَّهيدِ ما يُشْتَهَى ومن سَمْنَةٍ الحَيِّ ما يُطَابُّ
 فما هو ضيفُ ككلِّ الضيوف ولكن أميرُ كريمٍ الحَسْبُ
 ليلي [وداء حجاب:]

أبي ألف لبيك

ابن عوف: لا بل قفي فما بني ظمَاءٌ ولا بي سغبُ
 وأعلمُ أن القِري دِينُكم وأن أباك جوادُ العربِ
 ولكن طعامي

المهدي: ماذا؟ اقترَحْ

ابن عوف: طعامُ الرسولِ بلوغُ الأربِ

المهدي: إذن قفي ليلي اقربي

[تظهر ليلي من وراء الستر] :

تقدّمي ورحّبي

حسّل ابنُ عوف دارنا

أكرم به وأحبّ

ليلى :

قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيِّبُ

ل بالحجى بالأدب

ابن عوف : أهلاً بليلى بالجماء

نوهتُما بالعرب

عشتِ وقيساً فلقد

ليلى [بين الخجل والغضب] :

أتقرنُ قيساً بنا يا أميرُ؟

ولم لا وقد جئتُ من أجله

ابن عوف :

وأعطفتُ شكلاً على شكله

ومن أنا حتى أضُمُّ القلوبَ

وما زال يجمعُ في حبليه

لقد جمعَ الحبُّ رُوحيكما

ليلى [فى استحياء] :

أجل يا أميرُ عرفتُ الهوى

فهلّا عطفتِ على أهله؟

ابن عوف :

[يلتفت إلى المهدي] :

أبا العاصرية قلب الفتاة
فأصغ له وترقق به
المهدي : أظلم ليلى ؟ معاذ الحنان
هو الحكم يا ليل ما تحكين
يقول وينطق عن نبله
ولا يتسع ظلمك في قتله
متى جار شيخ على طفله ؟
خذى في الخطاب وفي فصله

ليل : أقيساً تريد ؟

ابن عوف : نعم !

ليل : إنه

ولكن أترضى حجابي يزال
ويمشي أبي فيغض الجبين
يداري لأجل فضول الشيوخ
يمينا لقيت الأمرين من
فوضحت به في شعاب الجزار
ومنى القلب أو منتهى شغله
وتمشي الظنون على سبيله
وينظر في الأرض من ذله
ويقتلني الغم من أجله
حماقة قيس ومن جهله
وفي حزن نجد وفي سهله

تخذ قيسٌ ياسيدى فى حماك

[فى حياء وإباء] : والى الأمان على رجليه

ولا يفتكر ساعةً بالزواج ولو كان مروان من رسله

ابن عوف : إذن لن تقبل قيساً ولن ترضى به بعلاً

إذن أخفق مسعاً وخاب القصد يا ليلي

ليلى : على أنك مشكور ولا أنسى لك الفضلاً

وأوصيك بـقيس الخبير لا زلت له أهلاً

لقد يعوزه حاتم فكأنه أيها المولى

[تلتفت إلى أبيها وكأنها تحاول

أن تحبس فى عينها دموعاً]

أبى كان ورداً هاهنا منذ ساعة فقيم أتي؟ ما يلتغى؟

المهدى : جاء يخطب

ابن عوف : ومن ورد يا ليلي وهل تعرفينه ؟

ليلى : فتي من ثقيف خالص القلب طيب

أتى خاطباً بعند افتضاحي بغيره وعاري، أهذا يا بن عوف يُخَيَّبُ؟
أبي، أين وردُ الآن؟

المهدي : عند قرابة من الحى ضمّوه إليهم ورحبوا

فإن شئت أرسلنا إليه

ليلى : أبعث أدعّه وجئنا بقاضى نَجِدُ اليومَ يكتبُ

ابن عوف :

تجاوزت ليلي غاية السَّخَطِ فاذا كرى عواقب رأي قد رأيت سخيّ

ليلى [متهمكة] :

أكنتُ ابنَ عوفٍ غيرَ أننى ضعيفٌ تناهت لرأى فى الأمور ضعيف

ابن عوف :

أرى وقفى يا ليلَ كانت شريفةً ولكن جزأى كان غيرَ شريف

ليلى :

أنظف ثوبى يا أميرُ فطالما ظهرتُ به فى الحى غيرَ نظيف

ابن عوف :

لئن كنت يا ليلي بوردٍ قريرةً فإنى على قيسٍ لحدُّ أسيف

[ثم يخاطب أباها] :

أَلَا نَ بِحَفْظِ اللَّهِ يَا سَيِّدَ الْحَمَى لَقَدْ طَالَ لُبِّي عِنْدَكُمْ وَوَقُوفِي
وَوَقَّفتُ يَا لَيْلى

لبلى : لَقَدْ كُنْتُ سَيِّدَى حَلِيفًا لَقَيْسٍ هَلْ تَكُونُ حَلِيفَى
عبد بن عوف :

سَأَلْتُ مُحَالًا إِنَّمَا جِئْتُ خَاطِبًا لَوْرِدَ الْقَوَافِي لَا لَوْرِدِ ثَقِيفٍ

[يُخْرِجُ مِنْ بَابِ الْخَبَاءِ وَيُشِيرُهُ

الْمَهْدَى إِلَى مَا وَرَاءَ شَجَرِ الْبَانِ]

لَيْلى : رَبَّاهُ مَاذَا قُلْتُ مَاذَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْأَمِيرِ الْأَرِيحِيِّ وَشَأْنِي ؟
فِي مَوْقِفٍ كَانَ ابْنُ عَوْفٍ مُحَسِّنًا فِيهِ وَكُنْتُ قَلِيلَةً الْإِحْسَانِ
فَزَعَمْتُ قَيْسًا نَالَسْنِي بِمَسَاءَةٍ وَرَمَى حِجَابِي أَوْ أَزَالَ صِيَانِي
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنَّ قَيْسًا قَدْ بَنَى مَجْدِي وَقَيْسٌ لِلْمَكَارِمِ بَانِي
لَسَوْلا قَصَائِدَهُ الَّتِي تَوْهَنُ بِي فِي الْبَيْدِ مَا عِلْمُ الزَّمَانِ مَكَانِي
نَجْدٌ غَدًا يُطَوِّى وَيَفْنَى أَهْلَهُ وَقَصِيدُ قَيْسٍ فِي لَيْسَ بَفَانِي

مالى غَضِبْتُ فضاغُ امرى من يدى
 والأمرُ يخرجُ من يد الغضبان
 قالوا انظري ما تحكين فليتنى
 أبصرتُ رشدى أو ملكتُ عِنانى
 ما زلتُ أهذى بالوساوس ساعةً
 حتى قتلت اثنين بالهذيان
 وكأنتى مأمورةٌ وكأنما قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى
 قدّرتُ أشياءَ وقدّر غيرها حظٌ ينخط مصاير الإنسان

« ستار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني ثقيف ، في قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت »
 « طائفة منهم للخفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا في الفلوات ، »
 « وبينهم شاب منهم في شكل إنسى جميل الثياب يتردى الحرير »
 « من فرعه إلى قدمه ، وعلى رأسه عقلاان من الحرير المحلى »
 « بالذهب ، هو الأموى شيطان قيس — الجميع ينشدون ويرقصون »

تشيد الجن :

هذا الأصيل كالذهب يسيلُ بالمرأى عجبُ

على الوهاد والكُثْبُ

الرقصُ يبعثُ الطربُ هلمُ يا جنَّ العربُ

هلمُ رقصةً للهبُ إذا مشى على الخطبُ

نحن بنو جهنما تغلى كما تغلى دما

نشور في الأرض كما نار أبونا في السما

نحن بنسو الجبارِ العِلمُ المنار

إبليس يكر النار
 نحن الرُّعود القاصفه
 والظلمات الزاحفه
 لنا وما لنا صُور
 ولا يرون من حضر
 نقول حين نصطدم
 صمم صمم صمم
 هيد : فيم اجتمعنا هاهنا ؟
 عضرفوت : لا أدري ، تلك ضجّة
 فسل أخاك عسراً
 هيد :
 عسر : نحن مسوقون إلى
 الأموى : بنى الجنّ فى أرضكم عابراً
 يا عزّ من له اشمى
 نحن الرياح العاصفه
 عرمرماً عرمرماً
 نرى ونسمع البشر
 منا ومن تكلمنا
 بسادة أو يخدم
 عمى عمى عمى
 يا عضرفوت ما الخبر ؟
 حضرتها فيمن حضر
 ماذا هناك يا عسر ؟
 ما ليس ندرى كالقبر
 من الإنيس يرسف فى ضره

فَعَالُوا بِهِ وَعَالِمُوا أَنَّهُ قَتَى نَبَّهَ الشُّعْرُ مِنْ قَدَرِهِ

هيبه : وَأَيْنَ تُرَى هَوَى ؟

آخر : ماذا يكون ؟

الأموى : وماذا يهْمُكَ مِنْ أَمْرِهِ ؟

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِي صَاحِبًا مِنْ الْإِنْسِ أَحْكَمُ فِي شَعْرِهِ

هيبه : أَجَلْ أَنْتَ تُوَحِّى لَهُ مَا يَقُولُ وَتَقْدِفُ مَا شِئْتَ فِي فِكْرِهِ

الأموى : إِذَنْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ عَاشِقٌ تَمَلَّأَتْ الْبَيْدُ مِنْ ذِكْرِهِ

عاصف : وَأَعْلَمُ أَنَّ الْهَوَى وَاحِدٌ حَوَى الْمُسْتَهَامِينَ فِي أَسْرِهِ

وَأَنَّ الَّتِي سَحَرَتْ قَلْبَهُ مَدْلَهَةُ الْقَلْبِ مِنْ سَحَرِهِ

الأموى : وَإِنِّى لَأُكْفِلُ لَيْلَى لَهُ وَأَصْرِفُهَا عَنْ هَوَى غَيْرِهِ

سَهَرْتُ عَلَى طَهْرِ لَيْلَى الزَّمَانَ

وَلَمْ أَغْمِضِ الْعَيْنَ عَنْ طَهْرِهِ

صرفتُ عن الحب حتى الزواج
وما قدس الله من سره
ولو أن عيني تشق القبور
سهرتُ على الحب في قبره

عضرفوت : ومن يكون ؟

الأموى : قيس

عضرفوت : من ؟ قيس .

عاصف : وهل يخفى القمر

والساحر الذي شعر

منها والانس وتر

تُ ولفتيان البشر ؟

وما لقينا منهم

عضرفوت : بني الجن اسمعوا أبكم زكام

ولم ؟ جنى :

عضرفوت : تَتَنَّتْ لَعْمَرُكُمْ الجواء

آخر : وما في الجحور ؟

عضرفوت : ريج آدمي

ففيه تنانة وله ذكاء

فقد مرت على الخنفساء

وطال بها التبرم والعناء

وكل تراث آدم كبرياء

وتدفن عارها فينا النساء

من الجنى ليس له دواء

فمنا معشر الجن البلاء

فما عصم الحجاب ولا الخفاء

تعود الأرض منه والسماء

وننسى ما جناه الأنبياء

أجل هم في عداوتنا سواء

إذا البشري مر على يوما

جنى : أجل بعداوة البشر ابتلينا

مضى بالكبر إبليس أبونا

يعيب رجالهم فيقال عبنا

وإن عجز المطب قال داء

وإن قفرت صغارهم فزلت

وخفنا من أذاهم فاحتجينا

وكم متعوذ بالله منا

عضرفوت : وقد نشكو من الناس التجنى

جنى : أرسل الله أيضا من عدانا ؟

عضرفوت :

- بني نَحْمًا سَلِيَانٌ وَضَحْمًا ولولا الجن ما نهَضَ البناء
 بنينا تَدَمَّرَ الكِبْرَى بِأَيْدِ فهل تَدْرُونَ ما كان الجزاء؟
 جنى : وما كان الجزاء؟
 آخرين : أين !
 حضرفوت : عذاب وسجن ما لمدته انقضاء
 فتحت الماء
 جنى : تحت الماء؟
 حضرفوت : عاب عليه طلاس وعليه ماء
 وفي جوف القماقم لو علمتم
 خرون : وماذا في القماقم؟
 حضرفوت : أبرياء
 جنى : ومن ذا زجهم فيها؟
 حضرفوت : أمير علينا لا يرد له قضاء
 نى فهو عدلٌ حيث يقضى ومالك فهو يفعل ما يشاء

عاصف : قيس يا قوم منكم
 جنى : قيس منا وانما
 آخر : اننى قد رأيتُه
 ثالث : وسمعتُه قد عوى
 رابع : انا ايضاً رأيتُه
 عاصف [متطلعا] : تعالوا فانظروا

[يتطلع الجميع حيث ينظر]

جنى : ماذا ؟
 آخر : عجيب
 عصفوت : نرى شبحاً يدحرجه الفضاء

أقيسُ ذا ؟

عاصف : نعم هو فاستعدوا
 هيند [بلنى آخر] :

تأمل قيساً المعضنى تجذبه
 من الدوبان أصبح كالخيال

الآخر: لقد ضلّ الطريقَ أما تراهُ يُصَفِّقُ باليمينِ وبالشَّمالِ؟
وقد قلبَ الثيابَ عليه نَهَجًا على عاداتهم عند الضلال
[يظاهر بس فيلتفون حوله وينشدون] :

سَلامٌ مَلِكَ الحَبِّ وَسُلطانَ المُحِبِّينَا
وأهلاً وعلى الرّحِبِ لقد شُرِّفَ وادِينَا
أتى الجَنّ من الوادى يُحْيِوَنَكَ بالوردِ
حدا ركبهم الحادى إلى ناديك من بُعدِ
[يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال] :

ربِّ إلى أين انتهت بى السرى وأى واد أنزلتنى يا ترى
عسائى فى الشام، لعلّى جزئهُ أو أنا بالطائف أو أين أنا
وهذه المسوخُ حولى جنةٌ أم عمل الوهم وتهويل الكرى
لا ، أنا صايج

[يتخس جسده] :

هذه رجلى وذى يدي وتلك مقلتى يقظى ترى

ولم لا أومِنُ بالجنِّ وأنْ تكون للجنة كالناس قُرى؟
لا أدعى معرفةً بعالمٍ ظاهره أكثر منه ما اختفى

[يمسح جبينه و يعيد النظر والتطلع] :

تلك من الجنِّ لعمرى شُرذمةً وهذه خيلهم المُسوَّمة
نعامة كالفرس المطهَّمة وأرنبٌ مُسرجةٌ وملجَمه
وقنفذٌ وظبيةٌ وشيْمة

يا عجباً كل العجب الجنُّ منى عن كُتب
سودُّ دقاقٍ فى العيو ن كاللُّدخان فى الحطب
يَخْرُجُ من أفواهها ومن عيونها اللهب
من كل من حال بقر نيته وصال بالذنب
الجان : نبيُّ الحبِّ لا تَحْشَ أذى أو شِرةً منا
عطفَت الطير والوحشا فلم لا تعطفُ إلحنا؟
وسل حسان والأعشى وشيطانئهما عنا



نبي الحب لا تخش أذى أو شره منا

الأموى :

تركتُ ورائى الشامَ لم أنتفعُ به
 وعدتُ إلى نجدِ أفاسى صبايتى
 تركتُك ليلي فانفجرت لياليا
 فلم يخلُ سبرى منك يوما ولا السرى
 على كل أرض من هواك سوارحُ
 (وأجهشتُ للتوباذ حين رأيته
 وأذريتُ دمع العين لما عرفتُه)
 ولا هو من شوقى القديم شفانى
 ووجدى كانى ما برحتُ مكانى
 مؤلفة الأشكالِ جدَّ حسان
 ولم يخلُ من تمثالِك القمران
 ملأْن سبيلى أو ملكن عنانى
 وكبرلارحمي حين رآنى)
 ونادى بأعلى صوته فدعانى

[يدنونه قيس ويتأمله]

قيس [لنفسه] :

يا ويح عيني ما ترى :
 وأين عقلى ؟ غاب عني
 الشجر لى مذ قلنته
 من شفتى لم يُسمع
 وويح أذنى ما نعى !
 اليوم أو عقلى معى ؟
 من شفتى لم يُسمع
 لذا الغلام المدعى ؟
 من ذا الذى أوحى به

[يقترب من الشاب ويأخذ في انتقاده] :

عقالان يَمَانِيَا نِ مِنْ وَشَى وَعِقيان
يُضِيثَانِ كَلْمَحَ الشَّمْسِ فِي جِلْدَةٍ ثَعْبَانِ
وَأَيْنَ الشِّفَقُ الْأَحْمَرُ مِنْ مَطَرَفِكَ الْقَانِي؟
وَقَدْ تَقَرَّبُ فِي الرُّوعَةِ مِنْ أَمْلَاكِ غَسَّانِ
وَقَدْ تَبْلُغُ فِي الشَّعْرِ إِلَى رَقَةٍ حَسَّانِ
فَمَا شَأْنُكَ يَا هَذَا؟

وما يعينك من شأني؟	الأمرى :
جريئاً ما له ثاني	أرى سارقاً أشعار
وقد يسرق بيتان	فقد يسطى على بيت
ن أبياتاً للإنسان	ولا ينتحل الإنسا
فمن صُنْعِي وإحسانِي	وما أنشدت من شعري
ولم تسمعهُ أذنان	ولم أهتم به بفند

فمن أنت ومن أين أنت أذُنَيْكَ الحانِي
 الأموى : أنا الملقى عليك الشعر من أين إلى أن
 أنا الهاجس والشيطان
 قيس : لا، لا، لست شيطانى

[ثم يناجى نفسه:]

أجل سمعتُ باسم شيطانى ولكن لم أره
 أى وأمى حدثنا فى الليالى خبيرة
 [يعود إلى خطاب الأموى مرّداً:]

أست أنت الأموى

الأموى : لا تخف أن تذكره
 قيس : ما أنت إلا صورة فى عصبى مصوره
 أو عبث لو كان عقلى حاضراً لأنكره
 قيس : [وهو ينكت الأرض بعوده:]

ويحى أقيس واحد أم نحن قيسان هنا
 وأيننا الشاعر هذا الأموى أم أنا

أم الذي بي وبه من عبث السحر بنا
 أم أنا مجنون على حب ليلى قد جنى

الأموى : قيس

قيس : لييك قيس

الأموى : ما أنا قيس

من إذن ؟

قيس :

قلتُ إننى شيطانه

الأموى :

قيس : قيس من آدم فما أنت منه

أنا من قيس عامر وجدانه

الأموى :

قيس : أنت وجدانى؟ استعدتُ برى منك

لا تستعذبه جل شأنه !

الأموى :

هكذا شاء : كل شاعر قوم
 عبقرى اللسان نحن لسانه

قيس [مشيعا بوجهه ومطرقا] :

وصرتُ ينهى ماردٌ على فمى ويأمرُ
ما للسانى لا يطو لُ؟ ما له لا يقصرُ؟
يالىت شعرى كيف لا يخرجُ منه الشرُّ؟

الأموى [واضعا يده على كنف قيس] :

علام قيس فيم أنست مُطرقُ مُفكرُ؟
فى خبرى؟

قيس : أجل وما صدقتُ فيما تُخبرُ
ليس لسانى ماردًا إن لسانى بشرُ

الأموى : قل وحدك الشعرَ اذنْ

قيس : تظننى لا أقدرُ !

الأموى : جربْ اذنْ قل أرنا يا قيسُ كيف تشغُرُ

قيس : وما نُحبُّ؟

الأموى : قريةُ السجّ وهذا المنظرُ

أليس فيما أنت را قيسُ ما يؤثّرُ؟

قيس : اسمع إذن يا أموى

الأموى : إني أنتظر

قيس : وجوه تصور ، وفضاء يزهر ، ورمال فى مطارح البصر

تزخر ! ، وقرية تموج بالجن كأنها عبقر !

الأموى [مضحكا] :

قهقهه ! تعالوا واسمكوا !

[تضحك جماعة من الجن] :

قيس [فى غضب] : قهقهه . . أمتى تسخر ؟

الأموى : ما هكذا يا شاعر السبيد البيوت تكسر

جنى آخر : إنك لا تنظم يا قيس ولكن تنثر !

الأموى : مالك قيس مفحما هذا لعمري الحسر !

لَا يُفَحِّمُ الشَّاعِرُ لَسْكَنَ يُفَحِّمُ الشَّوَيْعِرُ

مالك كالعود الذى أدبر عنه الوتر ؟

ما للقوافي الآنسا ت منك قيس تنفر ؟

كيف ترى لسانك

قيس : الآن عليه حجر

أنت على مشاعري وشعري المسيطر

إن غبت غاب خاطري وإن حضرت يحضر

الأموي : الآن لا تُنكرني قيس وكنت تُنكر

عجبت كيف تختفي السجى وكيف تظهر

يا قيس هذا عالم طينته التجبر

تطغى على رائدها صغراؤه وتقمبر

وغاية الممعين في نظاميه التحير

مهما علمت عنه فالسلكى جهلت أكثر

قيس : يا أخا الجن لئن كنت أخا لى وخليلا

أنا في أعماء أرض لا أرى فيها السبيل

الأموي : أين تبغى قيس؟

قيس : ليلي كن إلى ليلي الدليلا

الأنوى : مل يميناً يا أبا المهدى ثم امش قليلا

تجد المنزل والماء الذى يشفى العليلا

[ينطلق قيس آخذا يمه مهرولا] :

المنظر الثانى

« فى حى بنى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل - »

« ورد مصطمع على الرمل وبجانبه يجلس رقيق من رفاقه - يقترب قيس »

قيس : إن قلبى لمخبرى أن هاتيك دارها

أنا بالطائف الذى قتر فيه قرارها

فى ثقيف تنقلى وثقيف ديارها

ما لساقى جررتها فتعاي انجرارها

ولقلى يقول طى قد تدانى مزارها

كيف لا أهتدى ليلي وفى القلب نارها

ليت ليلاي نبئت أننى اليوم جارها

[يتبين وردا وصاحبه] :

عجب! هُدَيْتُ الدَّارَ بَعْدَ ضَلَالَةٍ ما كان شيطانى على كذوبا
هذى منازلها وذلك بعلمها بعثت إلى ديار ليلي الطيبا
هذا غريمى ورد أشقر كاسمه أترأه ألبس جلده مقلوبا
ما بالله افترش الأديم كأنه بغل يُعْفَرُ فى التراب جُنوبا

[رفيق ورد] :

ورد : أرى من المدى القريب شخصا يدب نحونا كالذيب
على خطاه خشية المريب

ورد :

لِمَ لا تقول حيرة الغريب لعله ابن سبيل
يمر بالحي مَرًّا إني أراه سقيا
يجر ساقيه جَرًّا

[ينفض من رقلته قلعا] :

الرفيق : عرفت من هو ؟

ورد : قيس به الغرام أضرا

الرفيق : قيس ؟

ورد : أجل

الرفيق : وكيف أفضى إليك ! كيف تجزأ !

ورد : دعني وقيسا وشأني لعلى في الأمر سراً

[ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس] :

قيس : أهذا أنت ورد بنى ثقيف

ورد : نعم والورد ينبت في رباها

قيس : ولم سميت وردا لم تلقب بقلام العشيرة أو غضاها

ورد [في سكون وحلم] :

وما ضر الورود وما عليها

قيس : (بربك هل صممت إليك ليلي

(وهل رفقت عليك قرون ليلي

ورد [بعد فترة وسكون] : .

نعم ولا يا قيس

قيس : لا بد من لا أو نعم

ورد : هبها نعم يا قيس هل مع الحلال من تهم ؟
 المرء لا يسأل : هل قبل أهله ؟ وكم ؟
 أجعل لقد قبلتها من رأسها إلى القدم

قيس [غاضبا] :

تلك لعمرى قبلة السحى بلاء وسقم
 أو قبلة الذئب إذا الذئب على الشاة جثم
 [يراجع قليلا وكأنما يتحدث نفسه] :

قلبي يقول لى : لا يا صدقه فيما زعم
 ورد : إذن تعال قيس واسمع فى أناة وكرم
 لا تجعل الغضب السبائر بيننا الحكم
 لسمع حديثي إنه ما خط مشه القلم
 وسره لا الأهل يد رون به ولا الخدم
 أنا الذى ظلمت قيس ما أنا الذى ظلم
 أليسة وما على لك يا قيس قسم
 كم مررت الليلة بي والليتان لم أنم

منذُ حوت داري ليلي ما خلوت من ندم
 كانت إطافتي بها كالسوثى بالصنم
 وربما جثت فرا شها نخانتني القدم
 كأنها لي محرم وليس بيننا رَحِم
 شعرك يا قيسُ جنى على هذا واجترم
 هنيئها فامتعت كأنها صيد الحرم
 وهبتها للحب والشعر وقيس والألم
 قيس : ولكن تعال سري ثقيف
 أئن لي ما لم تبين تعال
 تقول لقيت شعري الشقاء وجرّ عليك بياني الوبالا
 لقد قلت قولاً فأوجزته فبالله إلا شرحت المقالا
 ورد : إذن . أصنع قيس
 قيس : قل الصدق ورد
 وهل كان لي الصدق إلا خلا

فلولاك ما اخترتُ إلا ثَقِيفًا ولم ألقَ للعاصريّاتِ بالاً
 ذهبتُ بشعركَ منذ الشبابِ أغنى القِصارَ وأروى الطَّوالا
 أرى بين ألقاظِهِ ظلَّ ليلي وألمحُ بين القوافي الخيالا
 فلما رُدِدْتُ وقيلُ القصائدُ والعشقُ بين المحبينِ حالا
 خرجتُ إلى حيّا خاطبها ولم أدنُ خردونَ مسعاىَ مالا
 بنيتُ بها فتَهِيبَتُها وأى امرئٍ هاب قبل الحلالا
 فشعركَ يا قيسُ أصلُ البلاء لقيتُ به وبليلى الضلالا
 كساها جمالا فعلقَتُها فلما التقينا كساها جلالا
 إذا جثَّتْها لأنالَ الحقوقِ نهتني قدّاستُها أن أنالا
 أمسكُ أبا المهدى !

[يستحيل كلامه إلى قيس ، إذ تبدل ليلي على باب الخباء] :

أنظُرْ هذه ليلي علينا طلعت من الخبا

[ثم ينادى بصوت متهدج] :

ليلي ، تعالى أسرعي قيسُ أتى ليلي ، هنالك من تحبين هنا

قيس : أما زح يا ورد قل لي أنت أم
تسخر مني أم ترى تهزأ بنا؟

ورد : بل قلتُ جدًّا لم أقل مُهازلاً

قيس : [هاما بالذهاب إليها] :
إذن فدعها لا تُجشِّمها الخطأ

ورد : [وليلي تقرب] :

إسمع أبا المهدى همس خطوها
كأنه وطء الغزال في الحصى

دعوت فاهتمت ولولم أدعها
أوجدت ريحك من أقصى مدى

قيس تثبت واستعد ، هي ذى
أتت ، فلا يذهب بلبك اللقاء

الآن أمض لسبيلي

قيس : يل أقسم
إلبث أعني ، إنني خرت قوى

ورد : قيس أرى الموقف لا يجمعنا
أنت حبيب القلب ، والزوج أنا

يا لكما مني ويا لي منكما
نحن الثلاثة ارتطمنا بالقضا

[ينصرف وتقبل ليلي على قيس] :

قيس : ليلاي . ليلي القلب

ليلى : قيس ، مالي دارت بي الأرض وساء حالي

قيس : فذاك ليلي مهجتي ومالي من السقام ومن الهزال

تعالى أشكى لى النوى تعالى ألقى ذراعيك على خيال
[نصالحة بشوق]

ليلى : أحق حبيب القلب أنت بجانبى أحلم سرى أم نحن منبهان

أبعد تراب المهدي من أرض عامر بارض ثقيف نحن مقتربان

قيس : حنانيك ليلي ، ما ليحل وخلة من الأرض إلا حيث يجتمعان

فكل بلاد قربت منك منزلى وكل مكان أنت فيه مكانى

ليلى : فما لي أرى خديك بالدمع بللا أمين فرح عيناك بتبدران

قيس : فداؤك ليلي الروح من شر حادث رماك بهذا السقم والذوبان

ليلى : ترانى إذن مهزولة قيس ؟ حبذا هزالي ومن كان الهزال كسالى

قيس : هو الفكر ليلي ، فيمن الفكر ؟

ليلى : فى الذى تجسنى

قيس : كفانى ما لقيت كفانى

ليلى : أأدركت أن السهم يا قيس واخذ وأنا كليتنا للهوى هدفان

كَلَانَا قَيْسٌ مَذْبُوحٌ قَتِيلُ الْأَبِ وَالْأُمِّ
 طَعِينَانِ بِسَكِينٍ مِنْ الْعَادَةِ وَالْوَهْمِ
 لَقَدْ زُوِّجْتُ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ ذَوْقِي وَلَا طَعْمِي
 وَمَنْ يَكْبُرُ عَنْ سَنِيٍّ وَمَنْ يَصْغُرُ عَنْ عَلِيٍّ
 غَرِيبٌ لَا مِنْ الْحَيِّ وَلَا مِنْ وَلَدِ الْعَمِّ
 وَلَا ثَرْوَتُهُ تُرْبِي عَلَى مَالِ أَبِي الْجَسَمِ
 فَتَحَنُّ الْيَوْمَ فِي بَيْتِ عَلَى ضَيْدَيْنِ مُنْضَمِّ
 هُوَ السَّجْنُ وَقَدْ لَا يَنْطَوِي السَّجْنُ عَلَى ظَلَمِ
 هُوَ الْقَبْرُ حَوَى مَيِّتَيْنِ جَارَيْنِ عَلَى الرَّغَمِ
 شَتَيْتَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَبْعُدِ الْعَظْمُ مِنَ الْعَظْمِ
 فَإِنَّ الْقَرَبَ بِالرُّوحِ وَلَيْسَ الْقَرَبُ بِالْجَسَمِ
 قَيْسٌ : تَعَالَى نَعِشْ بِاللَّيْلِ فِي ظِلِّ قَفْرَةٍ مِنْ الْبَيْدِ لَمْ تُنْقَلْ بِهَا قَدَمَانِ
 تَعَالَى إِلَى وَادٍ خَلِّيٍّ وَجَدُولٍ وَرَنَةٍ عُصْفُورٍ وَأَيْكَةٍ بَانَ

تعالى إلى ذكرى الصبا وجنونه
فكم قبلة يا ليل في مِيعَة الصبا
أخذنا وأعطينا إذ البهم ترتعي
ولم نك ندرى يومَ ذلك ما الهوى
منى النفس ليلي قربي فاك من فمي
نذقُ قبلة لا يعرف البؤس بعدها
فكلُّ نعيم في الحياة وغبطة
وينفقُ صدرانا خفوقا كأنما
وأحلام عيش من دَدٍ وأمان
وقبل الهوى ليست بذات معاني
وإذ نحن خلف البهم مستتران
ولا ما يعودُ القلب من خفقان
كما لف متقاربهما غردان
ولا السقم رُوحانا ولا الجسدان
على شفتينا حين تلتقيان
مع القلب قلب في الجوانح ثانی

[تنفر ليلي] :

ليلي : وكيف !

قيس : ولِمَ لا ؟

ليلي : لست يا قيسُ فاعلا ولا لي بما تدعو إليه يدان

قيس : أتعصيتني يا ليل ؟

ليل : لم أعص أمري ولكن صوتا في الضمير نهاني

وردد يا قيس ؟ ورد ما حلفت به * * *
لقد ذهلت فلم تجعل له شانا

قيس [غاضبا] :

تعتين زوجك يا ليلي ؟

ليل [منكسة رأسها] :

نعم

قيس : ومستی أحببت وردا ؟ ترى أحبته الآنا

ليل : فيم انفجارك ؟

قيس : من كيد بخت به

ليل : إني أراك أبا المهدى غيرانا

وردد هو الزوج ، فاعلم قيس أن له حقا على أؤديه وسلطانا

قيس : إذن تحاببتما ؟

ليل : بل أنت تظلمني فما أحب سواك القلب إنسانا

ولست بأرحمة من داره أبداً
نحن الحرائر إن مال الزمان بنا
قيس : بل تذهبين معي

ليلى : لا ، لا أخون له
فتى كنبع الصفا لم يختلف خلقاً
قيس [متها] :

أراك في حبٍّ وردٍ جدٍّ صادقةٍ
ليلى : قيس
قيس [صارخاً] :

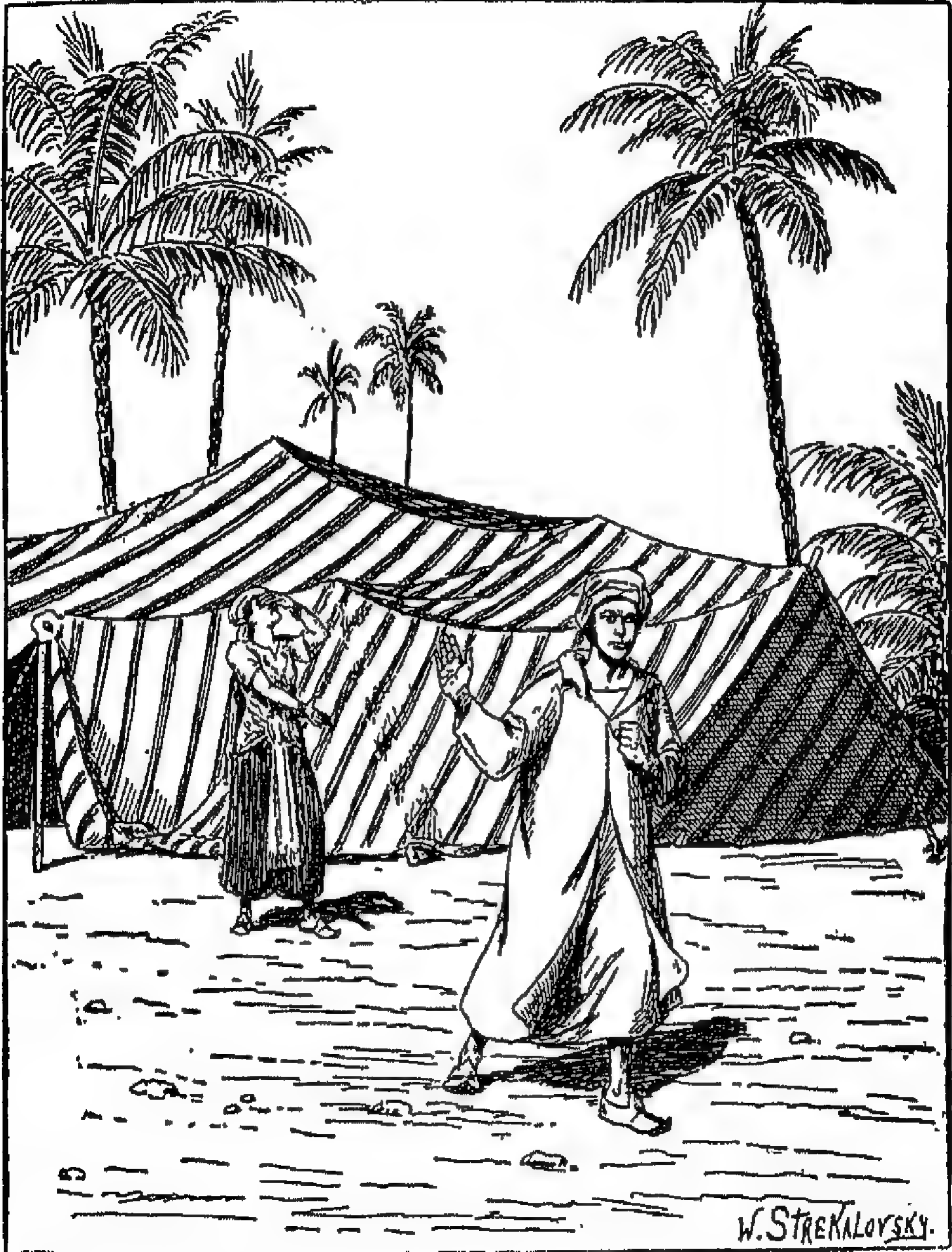
أتركيني بلاد الله واسعة
غداً أبطلُ أحباباً وأوطاناً
[يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى] :

ليلى : العقل يا قيس !

قيس : لا خَلَّ الرداء دعى

[ثم هلت منها وينسفع إلى سبيله
تاركا إياها باكية في هيئة استعطاف]

ليلى : وارحمناه لقيس عاد ما كانا !



... .. أتركيني بلاد الله واسعة غداً أبذل أحباباً وأوطاناً

واها لقيس وآه ما صنعنا؟ أكبر قيس بلواي والوجعا
[تدخل عفراء:]

عفراء عندي

عفراء: لبيك سيدتي
ليلي: لقد سمعت الحديث كيف إذن
قلت لقيس مقال مشقة
وقيس ذو جنة وإن زعموا
تخير الناس في جنون قتي
والله لو جاء في محاسنة
فورد يا عفر لا كفاء له
آه من السقم

عفراء: ألف عافية

ليلي: آه من الحادثات

عفراء: ألف لما

ليلي : أنا عذرية الهوى أحملُ العب
 المحبات ما بكين كدمي
 ويح قيس ويح لي أي نار
 أتعب الحى داء قيس ودائى
 لا الحواميم تصرف الجن عنا
 أبقيس وبى هوى عبقرى
 علة اليد من قديم وداء
 ما سلاحه حين يقتل إلا
 لم تُعذب بالحب عذراء قبل
 عفراء : هي عذراء؟ ربي أشهد

ليلي : أجل

عفراء : والذي أنت تحته؟

ليلي : تحت بعل

ء وإن ناء بالصباية جهدى
 فى الليالى ولا أرقن كسهدى
 للمقادير عند قيس وعندى
 وتعاين الدواء كنهان نجد
 حين تُتلى ولا رقى السحر تُجدى
 يسلب العقل من ذويه ويردى
 ضاع فيه الرقى وحر المفدى
 من عفايف ومن وفاء بعهد
 كعذابى ولن تُعذب بعدى

عذراء حتى يضمنى ركن لحدى

غير ذى جفوة ولا مستبته

راعني اللوم من جميع النواحي فتسواريت في مروءة ورد

[يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول] :

ورد : ربّ ماذا سمعت ؟ ليلي شكور لك نفسي الفداء يا بنت مهدي

ليلي : ورد

ورد : ليلي

ليلي : رحماك ورد وعفوا

كنت أخفي الجوى فأصبحت أبدي

ورد : ما بيلي ؟ ماذا أثارك ليلي ؟ هدني روعك المفزع هدي

ليلي : الداء يا ورد في مجتهد ملتهم هيكلي وما شيعا

أصبحت لا أشتهي الطعام ولا

قلبي من اليأس حين حلّ به

لم يحمل اليأس ساعة ولفسد

التمسني بالعيش متفجع

القدر اليوم والقضاء على

أحس يا ورد أنه انصدعا
كان بما حملوه مضطلعا
ولن ترى يائسا به انتفعا
حريك قيس وحربي اجتماعا

« ستار »

الفصل الخامس

« مقابر على سصح جبل توباذ في طريق عام على مقربة من »
 « حتى بنى عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من »
 « الحى يهيلون عليه التراب ويصعون الأحجار . ومن حوله كثير »
 « من رجال الحى وفتيانهم وصغارهم يرى بينهم المهدى وورد »
 « وكلهم بك أو حزين... يبدأ المشيعون فى الانصراف وهم يعزون »
 « المهدى ويصالحونه واحدا بعد واحد ويمرّون على ورد مرورا »

إنا لله أبا ليلي

معز :

صبر أبا ليلي جميل

آخر :

[فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق]

ويسأل صبيا من صبيان الحى فى حاجة]

قبر من يا صبي ؟

المار :

قبرها يا أبى

الصبي :

امراة ؟

المار :

نعم

الصبي :

تكون ؟

ومن

المار :

الصبي [مشيرا إلى المهدى] :

بنت ذا الرجل

ليلي أبنَةُ المهدي أَلَسْتُ مِنْ نَجْدٍ؟
 صبي آخر: أَجَلٌ قَدْ دُفِنْتُ لَيْلِي وَمَا جَفَّ لَهَا لَحْدٌ
 وَذَا الشَّيْخُ أَبُو لَيْلِي وَذَا صَاحِبُهَا وَرَدُ
 هُنَا الْوَالِدُ وَالزَّوْجُ

المار : وقيس ؟
 الصبي : لم يحيى بعد

[يقترب الرجل من المهدي فيعزيه]

المار : مهديُّ أَجْمَلُ جَزَعَا
 معر : يَا أَبَا لَيْلِي بَـجَالِكَ
 آخر : عَزَاءُ أَبَا لَيْلِي
 آخر : عَزَاءُ أَبَا لَيْلِي
 آخر : صَبْرُ أَبَا لَيْلِي جَمِيلٌ

صديق من أصدقاء ورد [هامشا إليه] :

لَقَدْ أَحْسَنْتَ يَا وَرَدُ وَمَا لِلنَّاسِ إِحْسَانُ
 يُعْزَوْنَ أَبَا لَيْلِي وَمَا عَزَّاكَ إِنْسَانُ

بل انظر ترهم أقسى طيك اليوم ما كانوا
 على الأوجه بغضاء وفي الأعين عدوان
 ورد : مهلاً أنجى وانظر إلى الناس بعين منصف
 هم يأخذون ما بدا ويتركون ما خفى
 ظن الجماعات في سوء ورأيهم في ما أصابا
 يرون أنى عدو قيس أخذت ليلي منه اغتصابا
 وزدت نفسيهما شقاء وزدت قلوبهما عذابا
 ليسأل الناس قبر ليلي فإن في قبرها الجوابا
 [يلتفت إلى المهدى بعد أن يعزبه آخر معز] :

تجمل أبا ليلي

المهدى [مصالفا إياه] :

تجملت طاقتي ولست بخوار قليل التجلد
 حملت فضول الناس يا ورد حقة إذا قت من باغ عثرت بمعتدي
 يعيشون في عرضي فمن كل معول ومن كل مقراض ومن كل مبرد

وهذا يحينني ويقطعُ فروتي . وهذا يُفدني ويهدمُ سُوددي
وياورد لو لم تُرخ سترًا على ابنتي لظلت بعرض في البوادي مبدد
حفظت ابنتي حفظ الشقيق ومرّضت

بيتك تمرّض الصغير المهد
وصيرت ليلي في حماك وخدرها كعذراءٍ دِيرٍ أو كدُمّةٍ معبد
لقد صلتها ياوردُ فاذهب فما أنا بناس لك المعروف أو جاحد اليد
وليلي فتاةٌ حرةٌ بنتُ حرةٍ أحبّت غلامًا سيّدًا وابن سيّد
واعلم أني كنتُ حربَ هواهما وكنتُ مع الواشي وعونَ المفند

[يلتفت إلى القبر بايكا :]

ورّد : يظل الله يا ليلي وفي بجوحة الخلد

وهذا تَجْدُ يا ليلي فنامي في ثرى نجد

[يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر]

الغريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأمية وسعد [

الغريص : دنا الحى يا بن سعيد وثم

ابن سعيد : وما ثم ؟

الغريص : أنظر يُجيبك النظر

ابن سعيد : قبور ؟

الغريص : أجل عارضتنا القبور وعمّا قليل نُجيزُ الحُفَرُ

ابن سعيد : وهل نحن إلا على حُفَرَة هي الأرض أو هي قبر البشر

مُحَجَّبَةٌ بغيرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضر

غريص ، بصرت بقبر جديد

الغريص : وماذا سوى الموت فى ذا العفر ؟

ابن سعيد : أخ كان يملأ أميس الهواء ويمحيا الحياة ويمجرى العمر

نزىل لعمرى غريب الغطاء غريب الوطاء غريب النجر

لدى منزل كبيوت الكراء مراراً خلا ومراراً عمر

يزار كثيراً فدون الكثير فغياً فينسى كأن لم يزر

وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجر
فيا مئت أمس عدتك الرياح وحيالك في الفترات المطر
وأمس كعاد وإن كان منك مطيف الخيال قريب الصور
لقد نفض الليل منك اليدين وأدرك فيك النهار الوطر
وأمسيت تحت لواء التراب قهرت القضاء ودينن القدر
تلفت وراءك أين الغرور وأين السرور وأين الأشر
وأين معالم عرس الحياة وأين سنا ليله المزدهر
وأين شباب كليم العروس ضحك العشيات طلق البكر
وأين العداوات من سافر مبين ومن كاشح مستتر
وأين المودات من صخبية كنهل يحمن وأنت الزهر
قليلون عند امتناع القطار كثيرون عند رجاء الثمر
وكم من سقيت بشهد الوداد فلم يحز إلا بصاب الإبر
فدق سنة لا ككل السنوات ونم ليلة ما لها من سحر

وقل للصديق طويّنا الحديث وقل للعدو دفننا الخبر
وهي مكاينهما في التراب فإن ركايبهما مُتَظَر
سعد: أمية، ماذا ترى في الغريض؟

أمية: وماذا أرى في أمير الطرب؟
سعد: لقد علم الناس أن الغريض
ولكن

أمية: وماذا وراء «ولكن؟» فمن شأنها أن تُشِير الرّيب
سعد: أمي أخفِض الصوت لا يسمعن فيغضب فهو قريب الغضب
وأذن المغنى يُحسّ النسيم وتسمع في الكأس جرس الحب
أمية: إني أخاف الغريض وإن التطير بي قد ذهب
أمية: وأين ترى الشؤم حول الغريض

وكيف؟

رؤيدك تذر السبب

سعد:

أليس الغريضُ يهيجُ البكاءَ فلورام دمعَ العروس انسكب
 ترعرع في بيئة النائماتِ وعلمته الندبَ حتى تدب
 ينوحُ بيثربَ آل الرسولِ ويذكرُ ماتمَ أهلِ الحسبِ
 آمينة : وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ وأى بلاءٍ علينا جلبه
 وما هو إلا مُغنى الحياة بناحيها الأسى والطرب
 سعد : ولكننا قاصدو عامرٍ لنقضى حقاً لقيس وجب
 ونسألُ عن عاشقٍ في الديارِ طويلِ البلاءِ ثَقِيلِ الوَصَبِ
 ومن زار بالنائحات المريضَ وأهلَ المريضِ أضاع الأدب

[ينها الغريض للغناء]

هو ذا هاج شجوه هو ذا يرسلُ النغمُ
 هاتفٌ من نواحيه رن في القاع والأكم
 هو في كل خاطِرٍ وفؤادِ صدى الألم
 [أنشودة الغريض] :

وادي الموت سلامٌ وسقى القاع الغمامُ

السماءُ القُدُسُ محسراً بُسِكَ والأَرْضُ الحُسَامُ
 أَنْتَ فِي الصَّمْتِ مُبِينٌ وَمَنْ الصَّمْتِ كَلَامُ
 لَمْ يَمِتْ أَهْلُكَ لِمَكْنٍ غَشَى اللَّيْلُ فَنَامُوا
 غُيِبَ لِمَ نَدْرَ مَا صَا رَوَا وَلَا أَيْنَ أَقَامُوا

[يخرجون إلى ناحية الحى من حيث يسمع آخر الأنشودة

ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر اختفائهم قيس وزباد]

قيس : جَبَلَ التَّوَيَّادِ حَيَّاكَ الْحَيَا وَسَقَى اللَّهَ صَبَابَنَا وَرَعَى
 فَيْكَ نَاغِيْنَا الْهَوَى فِي مَهْدِهِ وَرَضَعْنَاهُ فَكُنْتَ الْمُرْضِعَا
 وَحَدَّوْنَا الشَّمْسَ فِي مَغْرِبِهَا وَبَكَرْنَا فَسَبَقْنَا الْمَطْلِعَا
 وَعَلَى سَفْحِكَ عِشْنَا زَمْنَا وَرَعِينَا غَنَمَ الْأَهْلِ مَعَا
 هَذِهِ الرَّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا لَشَبَابِينَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا
 كَمْ بَنِينَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبَعًا وَانْتَنِينَا فَمَحَوْنَا الْأَرْبَعَا
 وَخَطَطْنَا فِي ثِقَا الرَّمْلِ فَلَمْ تَحْفَظِ الرِّيحُ وَلَا الرَّمْلُ وَعَى
 لَمْ تَزَلْ لَيْلَى بَعِينَى طِفْلَةً لَمْ تَزِدْ عَنْ أَمْسٍ إِلَّا إِصْبَعَا

ما لأحجارك صمًا كلما هاج بي الشوقُ أبت أن تسمعا
كلما جئتُك راجعتُ الصبا فأت أيامه أن ترجعا
قد يهونُ العمرُ إلا ساعة وتهونُ الأرضُ إلا موضعا

[يظهر بشر قادمًا إلى المقبرة من ناحية الحى]

بشر : عزاء قيس ؟

قيس : من ؟ بشر ؟

بشر : أجل

قيس : فيمن تعزيني ؟

أنا الميتُ يا بشرُ وإن أخرتْكفيني

[يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس]

وحرج الموقف ثم يميل هامسا إلى زياد

بشر : مجهلُ قيسُ موتها ولم أخلُ أن يجهله

ويح له ويح لي ! ماذا عسى أقولُ له

إن الحبيبَ نعيه إلى المحبِ معضله

إنى أخاف إن أنا خبرته أن أقتله

- قيس : بشر
- بشر : لبيك قيس
- قيس : من أين يا بشر ؟
- بشر : من الحى
- قيس : ما حوادثُ عامر ؟
- كيف أمى يا بشر ؟
- بشر : روحها الشو ق
- قيس : وأهلى ؟
- بشر : حنينهم متكاثر
- قيس : ولداى من فتية وعذارى ؟
- بشر : كلهم شيق لعهدك ذاكر
- قيس : كيف بنت لنا بمدرجة الرياح وناد على النجوم وسامر ؟
- والنخيلاتُ كيف خلفتها بشر
- كما هن بامسقات نواضر

قيس : ومهاري التي تركت صغارا؟

بشر : كبرت قيسُ فهي جرد ضواصر

قيس : عزت البيد، تُنبتُ السابق الفدُّ وتأتى بفارس ويشاعر

[يضطرب بشر]

ويح بشر ماذا له؟

بشر : قيس !

قيس : بشر!

أنت في نفسك الخفية ثائر

تُشبهُ الحزنَ والبكى نبراتٌ لك كانت كضاحكات المزاهر

بشر [إلى نفسه ثم إلى قيس] :

ربَّ ماذا أجيب؟ لا شيء يا قيس

قيس : بل الحزنُ في مُحياك ظاهر

ولقد راعنى لك اليوم جدُّ من خليع العذار بالأمس سادر

[تغرورق عينا بشر بالدموع] :

ما جرى؟ ما الذى أثارك يا بن السعيم؟ ما هذه الدموع البوادر؟

بشر : قيس ، لاشيء

قيس : بل كتمت جليلاً هذه وَجْهَةُ النِّعَى المحاذر

بشر : قيس ...

قيس : لَا تَجِمْ وَلَا تُخَفِّ شَيْئاً أنا يا بشرُ بالفجيرة شاعر

خُلِجْتُ قَبْلَ نَلْتَقَى عَيْنِي الْيَسْرَى وَرِيعَ الْفُؤَادِ رَوْعَةً طَائِرُ

بشر : أعفنى ! أعفنى ! بريك ما أنست على ما أقوله لك قادر!

قيس : أماتت ؟

بشر : أجل قضيت أميس ...

قيس [وهو يعنى عليه] :

واليللاه !

بشر : لله — ما أشدَّ المقادر!

[يمضى بشر في سبيله]

زياد [مقرباً من قيس] :

هو مغمى عليه ربُّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب يارب آخر؟

[يصحو قيس] :

زياد : تباركت يا رب قيس أفاق
رجعت لنا قيس

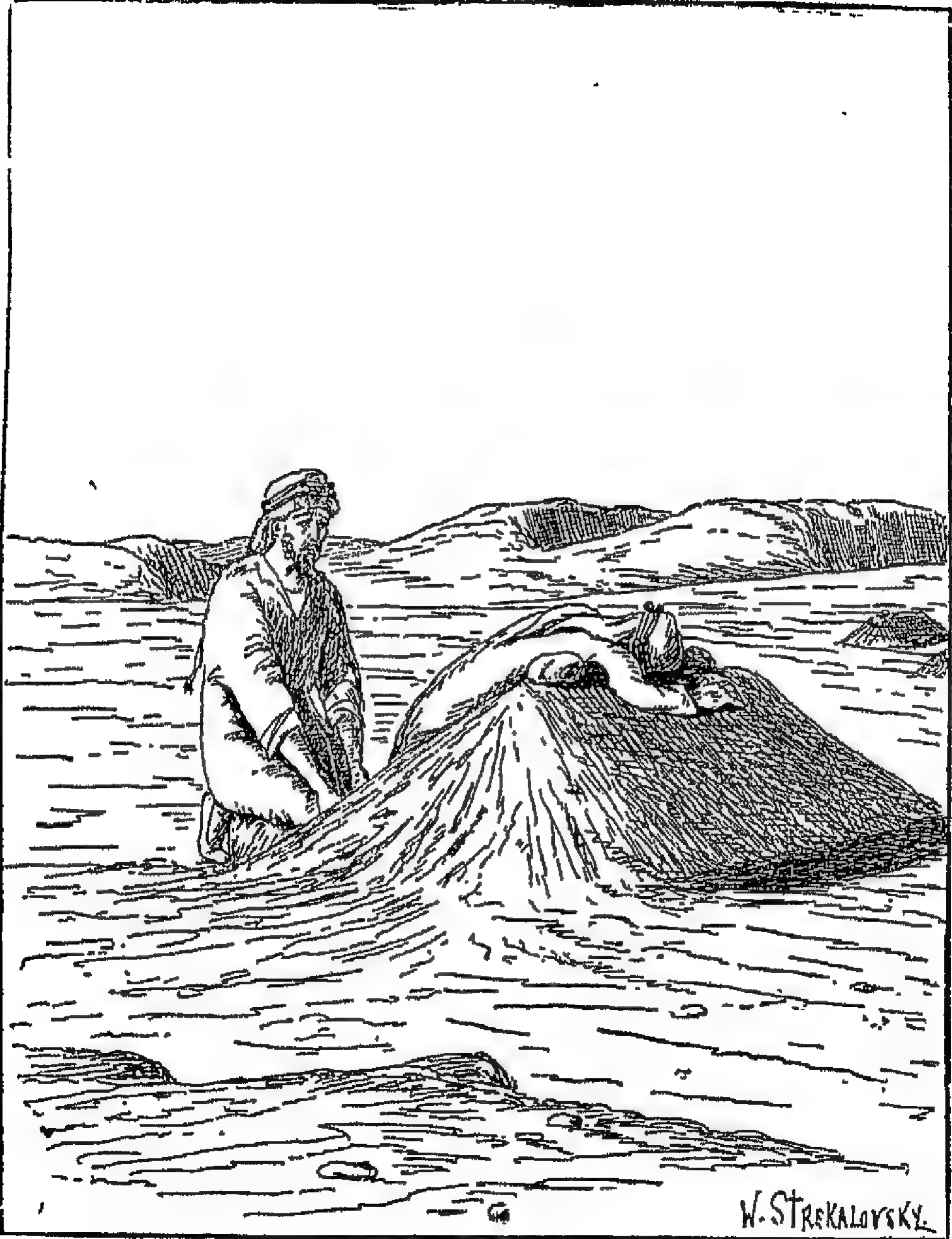
قيس : هيهات هيهات
لقد بقيت خفقة في السراج
زياد غدا يلتقي الموجهون
ت ! من كان في الترع لا يرجع
سليفظها ثم لا يسطع
وموعدا ذلك البقع

[يشير إلى المقابر] :

عرفت القبور بعرف الرياح
كشكلى تلمس قبر ابنها
هداها خيال ابنها فاهتدت
لنا الله يا قلب ! ليلاك لا
ودل على نفسه الموضع
إلى القبر من نفسها تدفع
وليلي الخيال الذى أتبع
تجيب وليلاى لا تسمع !
بجئنا بليلى ولم نك نحسب
يا قلب أنا بها نفجع

[يقترب إلى القبر با كما فيكب بوجهه على حجر من أحجاره] :

أعينى هذا مكان البكاء
هنا جسم ليلي هنا رثمها
وهذا مسيلك يا أدمعى
هنا رمتى فى الثرى المودع



أعني هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا آدمي

هنا فم ليلي الزكي الضحو
ك يكاد وراء البلى يلمع
هنا سحر جفن عفاه التراب
وكان الرق فيه لا تنفع
هنا من شبابي كتاب طواه
وليس بناشره البلقع
هنا الحادثات، هنا الأمل الحلو
ويا ليل، والألم الممنوع
طريد المقادير هل من يحير
ك منها سوى الموت أو يمنع؟
تزل الحياة لسلطانها
وللموت سلطانها يخضع
طريد الحياة ألا تستقر
ألا تستريح، ألا تهجع؟
بلى قد بلغت إلى مفرع
وهذا التراب هو المفرع

[يظهر الأموى شيطانه من بعيد ويناديه] :

الأموى : قيس

قيس : من الهاتف من
نادى الشريد المطرخ
الأموى : أنا الذى أوحى إليك حب ليلي واقترح
قيس : اذهب وإن لم أدرى
ح أنت أم أنت شبح
أذهب فلست صالحا
وأى شيطان صلح

كنت قرين السوء لي وكنت شر من نصيح
لولاك ما بُحْتُ بما خدش ليلى وجرح
كانه في عرضها زيت على الثوب سرح

الأموى : أفق قيس

قيس : سر خلني يا خيال ومن بالخيال لمن لم ينم
الأموى : حنانيك قيس أقل العتاب ولا تسكين دموع الندم
تفردت بالألم العبقري وأنبع ما في الحياة الألم
مريبك يا قيس فوق التراب وأنت مع النجم فوق التهم
أخذت سبيلك نحو الخلود وليس الخلود سبيل الأمم
ثم اهتف بليلى وشبب بها وخلل التقاليد وأنس الحرم
وطرف في الهواء طليق الجناح وسرف في الأديم طليق القدم
فلو أنصف الناس خلوكما كترك الوفود حمام الحرم
ثم أبسط جناحك فوق القفار وطرف في الوهاد وقع في الأكم

وَأَتْرَعَ مِنْ الْوَتْرِ الْعَقْرَى سَمَاءَ الْقُصُورِ وَأَرْضَ الْحَيْمِ
وَأَلَّفَ عَلَى الْحُبِّ شَتَّى الْقُلُوبِ وَأَرْسَلَ بِسَرِّ الْجَمَالِ النِّعَمِ
تَغْنَنَ بِلَيْلَى وَبُجَّ بِالْغَرَامِ وَبُتَّ الصَّبَابَةَ وَاشْكُ السَّقَمِ
فَلَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ حَتَّى يَذْيَعَ وَلَا خَيْرَ فِي الزَّهْرِ حَتَّى يَنِمَ

خيس : أقوم ؟ ... هات قدما

أقول ؟ ... أعطني فما

أما تراني هيكلا محطما مهتما !

[يخفى الشيطان ويستتر قيس] :

يَا رَبَّ قَيْسٍ هَلْ نَعِيتُ وَهَلْ جَرْتُ كَأْسُ تَدَوَّرُ عَلَى النُّفُوسِ مَشَاعُ؟
أَوَلَا فَمَا بَالِي أَنْوَأُ بِهِ كُلَّ لِمَوْتٍ فِيهِ وَلِلْحَيَاةِ صِرَاعُ
الْيَوْمَ آذَنَّا الْقَضَاءُ بِحُكْمِهِ مَا لِي وَلَا لَكَ يَا حَيَاةَ دِفَاعُ
رَاجَعْتُ فِي الْمَوْتِ الْحَيَاةَ وَعَادَنِي فِي التَّرْعِ يَا لَيْلَى إِلَيْكَ نَزَاعُ
كَيْفَ الْوَدَاعُ مِنَ الْحَيَاةِ وَلَمْ يُتَخَ لِي مِنْكَ يَا لَيْلَى الْغَدَاةُ وَدَاعُ
هِيَهَاتَ لَمْ تَعِدِمُ شَذَاكَ قَرَارَةَ حَوْلِي وَلَمْ يَعِدِمْ سَنَاكَ يَفَاعُ

وعلى سماء البید منك بشاشةٌ وعلى رمال البید منك سُباعٌ
وكأن كل ضبابة دون الضحى قسَمَاتُ وجهك دوسن فناع

[يمر به ظي سارح فيتأمله قليلا ويناجيه]

يا ظي بك من افتداك بماله إذ أنت عان تُستري وتُبَاع
وأباح طفلك ماءه وطعامه إذ هن عطشي بالفلاة جِباع
يا قاع كن نعشى وكن كفى وكن قبرى وقم فى مائى يا قاع
واجمع لتشييعى الظباء، ومن رأى ميتا بأسراب الظباء يُشاع
أترى أموت كما حبيت مُشردًا لا الأهل من حولى ولا الأتباع
وأبيت وحدى لا الوحوش أو انس

حولى هناك ولا الظباء رِناع

[تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر

ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعا بايكا]

زياد : قيس ، لا بأس عليك أنا ذا بين يديك

قيس :

نفس اطمئني الآن لست وحدى قد حضر الذى يحط لحدى

وَيُرْشِدُ الْحَيُّ إِلَى بَعْدِي زِيَادُ أَنْتَ الْمُشْفِقُ الْمُفَدَى
لَمْ أَنْفِرْ إِلَّا رُؤَيْتَ عِنْدِي

[يُبَيِّنُ شَيْخُ ابْنِ ذَرِيحٍ:]

زِيَادُ مَا ذَاكَ مِنْ ذَا يَبْكِي وَرَاءَ الضَّرِيحِ
إِنِّي أَغَارُ عَلَى الْقَبْرِ مِنْ غَرِيبِ الْجُرُوحِ
زِيَادُ : لَا تَخَشَّ يَا قَيْسُ مِنْهُ فَإِنَّهُ ابْنُ ذَرِيحٍ
ابْنُ ذَرِيحٍ : يَا لَيْلَ ، قَبْرُكَ رِبْوَةٌ الْخُلْدِ نَفَحَ النِّعَمُ بِهَا ثَرَى نَجْدٍ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أَرَى مَلَكًا يَتَنَفَّسُونَ تَنَفُّسَ السُّورِدِ
لَيْسُوا الْجُمَانُ الرُّطْبُ أَجْنَحَةٌ وَتَنَاقَرُوا كَتَنَاقَرِ الْعَقْدِ
وَتَقَابَلُوا فَعَلَى نَحْيَتِهِمْ مَسَكُ السَّلَامِ وَعَبْرُ الرَّدِّ
وَكَأَنَّ نَجَسُواهُمْ وَسُبَّحَتَهُمْ صَوْبُ الْغَمَامَةِ أَوْ صَدَى الرَّعْدِ
نَفَحَاتُ طَيْبِ هَاهُنَا وَهَنَا مَا لِلرِّيَاضِ بَهَنَ مِنْ عَهْدِ
يَا قَيْسُ صَبْرًا هَاهُنَا مَلَكٌ ذَبْحُ الصَّبَابَةِ مُشْهَدُ الْوَجْدِ
أَصْحُ انْتَبَهْ وَاطْرَحْ بَعِيْنَكَ فِي بَهَجِ السَّمَاءِ وَحُسْنِ مَا تَبْدَى



في كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفس الورد

قيس : أين السماء وأين مختصر	طلعت عليه الأرض باللحد
السهد عذبي وذى سنة	أجد الشفاء بها من السهد
ولقد أقول لمن يبشرني	بالخلد ما أنا داخل وحدي
لو أن ليلي في النعم معي	أو في الجحيم تساويا عندي
ليلي النعم وقد ظفرت بها	فاليوم نرقد في ثرى نجد
إني أحب وإن شقيت به	وطنى وأورثه على الخلد

[يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر] :

الصوت :	قيس	ويحيى أبى سحر
قيس :	من الصوت	
الصوت :	قيس	
قيس :	زياد اسمع	وأصغ يا بشر
الصوت :	قيس	
قيس :	سمعت اسمي	يلفظه القبر
الصوت :	قيس	
قيس :	تناديني	من قبرها باسمي

ليتك يا ليلى بالروح والجسم

[يدخل في دور الاحتضار الأخير] :

هل أسي الموت جراحينا وهل قرب الدار وهل لم الشتات؟

أصوات : قيس ، ليلى

قيس : رنة في أذني رددت قيس وليلى الفلوات

نحن في الدنيا وإن لم ترنا لم تمت ليلى ولا المجنون مات

« ستار الختام »

نظرات تحليلية

تمهيد

اختلف الرواة في مجنون بنى عامر ، في اسمه وفي شخصه ،
وفي حياته وموته ، وفي قصة هواه أهى موضوعه . لها بها قوم
وتداولها آخرون ، أم هى مأساة حقيقية ؟ ومهما يكن فقد أصبحت
قصة المجنون فصلاً خالداً في تاريخ الأدب العربى فيه روح شعرية
ناضرة ، تحدث الأجيال عن أسمى وأعلى . مثل للغرام البدوى القوى
العفيف ، وهذا ما يعنينا حيال هذه الرواية الجديدة .

هيكل الرواية

اختار المؤلف لمجنون بنى عامر اسماً واحداً من بين الأسماء
الكثيرة التى اختلف فيها الرواة « هو قيس بن الملقح » ثم كنى عنه
في بضع مواضع بأبى المهدى ، واختار لحياة قيس من بين رواياتها
المختلفة ، أسلسها وأجراها مع المنطق . إن قيساً ولىلى نشأ في بيتين

من أشرف يسوت بنى عامر ، فتعارفا طفلين ، فتوآذا فاستحالت
موذتهما غراماً مع الأيام . ثم شبيب بها قيس فى شعره ، فحبل بينهما
وبينه نزولا على ما سوف ترى من سنة البادية ، فزفت إلى غيره ،
فاتقد هواه واتقد حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هى الجنون
أو تكاد .

فأما شرف بيلتهما فستراه حيث يتحدثون عن قيس فيقولون
فى غير موضع واحد إنه « سيد من عامر وابن سادات » وحيث
يتحدثون عن ليلي فيقولون عنها « عقيلة الحمى » وينادون أباهما
« يا سيد الحمى » .

وأما موذتهما طفلين فأليك عليها شاهدان من عدة شواهد
تراهما فى كلام المجنون :

« فكم قبلة يا ليل فى ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معانى »
« أخذنا وأعطينا إذ البهم ترتعى وإذا نحن خلف البهم مستتران »

*
* *

« هذه الربوة كانت ملعبا لشبايلنا وكانت مرتعا »

« كم بنينا من حصاها أربعا واثنتينا فمحونا الأربعا »
 « وخططنا في نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى »
 « لم تزل ليلى بعينى طفلة لم تزد عن أمس إلا أصبعا »
 وأتما هواهما ، وكيف حيل بينهما ، فانظرنا قليلا نقص عليك
 نبأه فى شىء من التعميم والإطناب .

لمحة سياسية

كان الحسين بن على كعبة القلوب والأبصار فى جزيرة العرب ،
 بعد أن قتل أبوه على ، ومات أخوه الحسن ، وانتهت خلافة
 الإسلام إلى معاوية بن أبى سفيان .
 أصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادى
 العرب إلى حواضر الشام ، واستقر الحكم الحديدى فى دمشق تاركا
 مكة وما يليها تحت ولاية مروان بن الحكم . فى هذا العصر عاش
 المجنون فى يادية نجد أوقيل إنه عاش .

ما كان فى الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يتسم للزمن
 الحديد وللدولة الحديدية ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين

الذي هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلأ منه يقينه وإيمانه ، تعرّض له الدنيا التي أقبلت على دمشق محمولة على أسنة بني أمية وأحلامهم فتنقله من حيث كان يراه هذا العربي في مكة ميزان العدل وآية الزهد والورع ، إلى حيث قدر له هذا العربي أن يكون في دمشق ملكاً دنيوياً .

وكذلك ظل الحسين قائماً في نفوس الناس هناك صورة مقدسة لبدأوة الإسلام ، تستمد أنضر ألوانها من صلته القريبة بجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنوته لرجل كان أشد الناس زهداً واستصغاراً لدنياه ، وكذلك ظهرت بلاد العرب وقلوبها ينحرق باسم الحسين ، ولسانها المعلول إما منافق يترضى الحاكم الجديده ، وإما خائف تسبح له الفرصة فيهتف باسم الحسين في معزل عن العيون والأرصاد .

قدّمت ليلي إلى أترابها في مجلس من مجالس السمر ، ابن ذريح على أنه رضيع الحسين ، قادماً من يثرب يشفع عندها لصديقه قيس . قالت عبلة لجارها بشر :

« أسمع بشر: رضيع الحسين ، فديت الرضيعين والمرضعه »

« وأنت إذا ما ذكرنا الحسين تصاهمت »

فانظر كيف يحجبها وكأنه أهين :

« لا جاهلا موضعه »

« ولكن أخاف امرأ أن يرى على التشيع أو يسمعه »

« أحب الحسين ولكنا لساني عليه وقلبي معه »

« حبست لساني عن مدحه حذار أمية أن تقطعه »

ثم ترى الحسين في موكبه بين مكة والمدينة ، فاذا الحادي يغنى :

« يا نجسد »

« سر في ركاب الغمام ليثرب »

« هذا الحسين الإمام ابن النبي »

وإذا عامل من عمال بني أمية ، هو نصيب كاتب ابن عوف

أمير الصدقات في الحجاز ، ينسى في جلالة هذا الموكب نفسه

ومكانه من أمية ، فيجيب زيادا والغضب آخذ منه ، إذ يسأله

من لواء الموكب ؟ » .

« قد بين الحادى قفل أصم أنت أم غبي »
 « هذا منار العرب هذا الحسين ابن النبي »
 « هذا سنا جبينه ملء الوهاد والربى »

وإذا ابن عوف أشد من صاحبه جرحا على نفسه ومكانه من
 أمية، وإذا هو أكثر منه تقديرا لسلطانهم، وكأني بك وقد أشفق على
 نصيب أن يصيبه غضب مولاه، لكن الواقع أن مولاه لا يغضب
 منه ولا يقسو عليه وإنما يكفيه أمره عتب تافه يهمس به إليه .

« نصيب صه لا تسلكن بنا مسالك التهم »
 « إحذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم »

وكأنه في هذا العتب الهامس الرقيق يشارك عامله في تقديس
 الحسين ، بل هو يجهر بهذا الحب جهرا ضمنا إذ يقول لزياد عن
 غيبة المجنون :

« زياد انظر فما انفك صريع الوجد والذكرى »
 « كما مر بنا الركب الحسينى به مزا »
 « قلم يشغل له بالاً ولم يوقظ له فكرا »

ثم يعود نصيب في موقف آخر فيذكر الحسين غائباً ، لكنه يذكره في هذه المرة بينه وبين نفسه ، لا يخشى سطوة أمية ولا عتب ابن عوف « ولا عيون ابن الحكم » فتراه في هذه المرة يلعن الزمن ويلعن الوظيفة إباء على مولاه أن يتشبه بالحسين في الشفاعة لعاشق ، إذ يقول :

« يا دهر در بما تشا ويا حوادث اهزلى »

« ويا وظيفة اعزبى ويا جسارة ارحلى »

« يبغى ابن عوف أن يكو ن كالحسين بن على ! »

وهنا تخرج ليلي أو ينخل إليك أنها خارجة عن تلك القاعدة التي وضعناها لسكان البادية ومنزلة الحسين من نفوسهم ! كما تخرج عنها في قول ابن ذريح :

« ألا أنى أنا شيعى ولىلى أموية ؟ »

ويخرج معها قيس في هذا البيت ، أو كذلك ينخل إليك :

« لىلى على دين قيس فحيث مال تميل »

على أنه بالرغم من كل ما ذكرنا في هذه الملحة السياسية ، يجب أن نعود فنقول إن هذا التشيع الحزبي لم يكن له أثر كبير في حياة

أولئك العرب البادين ؛ ولم يظهر في هذه الرواية إلا في بضعة مواقف ، ثم غطاه المؤلف بنزعة أقوى منه أثرا في حياة قاطن الصحراء ، نزعة تعبر عنها ليلي إذ تقول :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »

ويعبر عنها زياد إذ يقول :

« سيطر الحب على دنياكم كل شيء ما خلا الحب عبث »

عادات العرب

أظهر ما يضرب العين في هذه الرواية من عادات العرب تلك السنة التي جروا عليها أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا شبيب بها وأعلن هواه والتي يقدمها المؤلف في أكثر من موضع يقول في أحدها :

« ومن عادة البيض نفض الأكف من العاشقين إذا شبيبوا »

والتي يعلمها لك المؤلف بنخشة العار والفضيحة في أكثر من موضع

كذلك يقول في أحدها والحديث عن ليلي بين قيس وشيطانه :

« لولاك ما بحت بما خدش ليلى وجرح »
 « كأنه فى عرضها زيت على الثوب سرح »

والمؤلف يرجع بهذه السنة إلى شرع جاهلى قديم ، نرى أقوى
 الشواهد عليه فى قوله إن ليلى إذ ضربت بغرامها الأرض إنما كانت :

« تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توجب »
 « وبالجاهلية إعجابها »

ثم ينحدر المؤلف بهذه السنة قوية مع الزمن حتى تعرض لها
 حضارة الإسلام فتوهن من قوتها ، وترسل فى جبروتها نفحة من
 روح التسامح ، تهمس تارة على شففى رجل مجهول أن ليلى إذا كان
 إعجابها بالجاهلية فقد « قل بالسلف المعجب » وتنادى حى ليلى
 تارة على لسان شخص آخر :

« هبوه جن بليلى ليس الغرام يجرم »

ثم نتغنى تارة على السنة الصغار :

« إيه يا شاعر نجسد ونجسى الظبيات »
 « أضمر الحب وأبد لأعف الفتيات »

ثم تتحرك هذه الروح فتستشفع الحسين في عاشق ، وتستشفع ابن عوف في عاشق آخر ، ثم تقوى هذه الروح فتسلط الندم والعذاب والتعاسة على هذه الفتاة التي « تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توجب » تجعلها « مأمورة يقود لسانها شيطان » وطعينة « بسكين من العادة والوهم » وتزورها في بيت « هو القبر حوى ميتين جارين على الرغم » ثم تسلط عليها الداء « يلتهم هيكلها » والياس « يصدع قلبها » والموت يسلبها الحياة .

على أن هذه الروح الحديدية التي دبّت في عنق هذه التقاليد لم تنزل سلطانها جميعا ، وحسبك ما رأيت من هدر دماء قيس ترضية لهذه التقاليد حتى تعلم أن هذه الروح كانت في مولدها تعمل عملها البطيء في سكون .

ثم يتلو هذه العادة سلسلة من أخواتها الصغار منها استدفاع الحذر بئداء الحبيب ، وعلاج الغيبوبة بالتكبير في أذن المغمى عليه وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل وفي هذه يقول ابن عوف :
« نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعي وقومك نار الطرد حين أميل »

ومنها تصفيق المسافر وارتداؤه الثوب مقلوباً إذا ضل الطريق،
ومنها — ونقتر هذه العادة بشيء من التحفظ — إطلاق الحرية
للفتاة في اختيار القرين كما يبدو في قول المهدي لفتاته :
« هو الحكم ياليل ما تحكين خذي في الخطاب وفي فصله »
فقد تكون ثقة الرجل من رأيها وقوتها وحرصها على حرمة
التقاليد، هي التي جعلته يقامر مطمئناً بهذا الإطلاق ، وقد يكون
هذا التحفظ لا محل له إذا وضعناه في الميزان مع قول من يقول :
« وليلى أبنة الشيخ ما رأيها أما من حساب لها يحسب »

حياة البادية

في هذه الرواية صورة متفرقة من السهل أن تؤلف منها يوماً
من أيام البادية بسيط المطاعم في جاه الحياة ... ماذا يفعل البدوي
في يومه هذا وما هو إلا ظل مصغر من حياته جميعاً ؟ يأكل من
طعامه البسيط وتسميه هند « ما طهت الماشية » وينسط لك
المؤلف أحفل موائد هذا الطعام البسيط في قول المهدي :

«هو الضيف ياليل هاتى الرطب وهاتى الشواء وهاتى الخلب»

«وهاتى من الشهد ما يشتهى ومن سمينة الحى ما يطلب»

ثم يرعى قطعانه يأكل منها ويكتسى من صوفها بما تغزل يداه.

ثم يصيد أحيانا لرياضته وأحيانا لطعامه ليدفع عن نفسه ضراوة

الوحوش وفى ذلك تقول ليلي :

« وآنا نخف لصيد الظبا وآنا إلى الأسد الضارية »

ثم يحب ، وسنعرض لهذا الحب بعد قليل ، ثم يؤمن بالدين

والجن والسحر وتراها مجتمعة على لسان ليلي إذ تقول :

« لا الحواميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى »

ثم أخيرا يحرص على شرفه وعرضه ، ويدفع عنهما بالروح بغى

الآثمين ، وخير ما يبدو لك هذا العنصر القوى فى حياة البدوى عند ما

ينادى المهدى رجل من رجال الحى :

« دد عن عقيلة الحمى وامنع حياض الشرف »

« نحن كعثان وليلى بيننا كالمصحف »

غرام البادية

تتحدث ليلى عن البادية فتقول لابن ذريح :

« أ كنت من الدور أم في القصور ترى هذه القبلة الصافية »
 « كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غانيه »

ثم تستأنف حديثها فتقول :

« لها قبلة الشمس عند البروغ وللحضر القبلة الثانية »

وتتحدث هند عن هذه البادية نفسها فتقول :

« كفى يابنة الخال هذا الحرير »
 « تأقل ترى البيد يابن ذريح »
 « سئمتنا من البيد يابن ذريح »
 « ومن موقد النار في موضع »
 « وراغية من رواء الخيام »
 « وأتم بيثرب أو بالعراق »
 « مفنيكم معبد والغريض »
 « وقد تاكلون فنون الطهارة »
 « كثير على الرمة الباليه »
 « كقبرة وحشة خاويه »
 « ومن هذه العيشة الجافيه »
 « ومن حالب الشاة في ناحيه »
 « تجيب من الكلاء الشاغيه »
 « أو الشام في الغرف العاليه »
 « وقيتنا الضبع العاويه »
 « وناكل ما طهت الماشيه »

وشيء واحد في حياتي هاتين الفتاتين يعزى إليه هذا التناقض
البين في الرأي والتقدير ، أن ليلي فتاة محبة محبوبية ، وأن هندا ...
ليست هند كما أرادها المؤلف إلا قلبا مغلقا لم تمسس قفله يد الساحر !
أولئك قوم من سكان البادية يعيشون في هذا العالم المنبسط ،
بين سمائه الصافية ورماله المترامية وأفقه البعيد ، كأنما يعيشون
في فراغ يمثلون في قصة صغيرة موجزة من قصص البشرية الأولى
حيث القلب خلى والمطعم ضئيل واللهو ساذج والرزق محدود ،
حيث تمر الحياة كأنها في بساطتها وتكرارها وتشابه مناظرها بياض
نهار وسواد ليل ، نهار ممل وليل مضجر طويل ، ودون هذا وتحس
هند أنها تعيش في قبر تنغى الضباع العاوية فيه !

في وسط هذا الملل والضجر قد يتفتح قلب البدوي للهوى ،
فإذا هو الهم الشاغل والفصل الحافل في حياة البدوي إن لم يكن
حياته كلها .

لقد يمنع الحضري لهواه ركنًا من قلبه الزاخر بهموم الحضارة
وأطماعها ولهوها ولعبها ودنياها ، يمنحه هذا الركن منحة ، وهو واثق

أنه الركن الضيق المتزوي ، وأنه الركن الذي تصيبه فواجع
التضحية بين العاطفة والمادة .

أما البدوى فلا يمنح من قلبه لهواه شيئا وإنما يسلبه هذا الهوى
عن قلبه كل شيء ، كلما عز فيه المنال ، وما أكثر ما يعز منال
الهوى في البادية كلما اندفع صاحبه وراءه اندفاع المتكالب المجنون
فهل من عجب بعد ذلك أن ترى ليلي البادية ما تراها ، وهل من
عجب أن تقول عن نفسها وقومها :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ما هيته »
« ويقتلنا العشق والحاضرات يقمن من العشق في طافيه »

وهل من عجب أن ينامر هذا الداء قيسا فيقول :

« سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى

وما اليد إلا الليل والشعر والحب »

« ملأت سماء اليد عشقا وأرضها

وحملت وحدي ذلك العشق يارب »

دع هذه الهوى في قلوب أصحابه يزخر ويتقد ، وعد بنا إلى
البادية ...

وما ظنك بأرض يضخم فيها كل شيء ؛ يزأر الأسد فيرصد
 زئيره ، ويخفق القلب فيقتل خفوقه ، ويعثر العاشق عثرة لسان
 — كما تعثر لسان قيس بليلة الغيل — فإذا عثرته فضيحة تذل قبيلة
 وتعلم بذلها أفواه الكبار والصغار ؟ ... ثم أخيرا ما ظنك بحب يعيش
 في هذا المحيط ؟ أيستطيع هذا الحب إلا أن يكون « عذريا »
 تحار الرقي فيه ؟ أيستطيع هذا الحب إلا أن يعف ويتصوّف حتى
 تفتح له نافذة في هذه الأقفاص ؟

قيس

ليست حياة قيس في الرواية إلا زفرة متصلة تتردد في قلب
 مغرم جريح .

ولكننا نعرض لقيس من ناحية أخرى فقد تكون عارضا على
 حياته لا يده فيه ، وقد تكون في حياته صدى هذا الهوى المجتاح ،
 نعرض له من حيث اتهم بالجنون ولقب به ، لنرى حظه من
 حقيقة العقل أو حقيقة الجنون .

الناس يصمون قيسا بالجنون أحيانا ، ثم يستنقذونه من هذا الجنون أحيانا ، ثم يأخذهم في أمره كثير من الشك والحيرة أحيانا أخرى ، وهم في هذه الثلاثة الأحوال يتحدثون عن قيس في شيء من يقين الواصل بصدق ما يقول . والمؤلف حفظه الله أشار إلى ذلك ، انظر إلى منازل يقول عنه لزياد :

« تؤدبني زياد وأنت ظل لمجنون وراوية لهاذي »

ثم يعود مرة أخرى فيسأل الناس :

« إن قيسا كامل في عقله أو أنستم على قيس الجنون ؟ »

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت » .

وتراه في مرة ثالثة حائرا في أمر قيس يتحدث عنه فيقول :

« تشرد مستعظما في البلاد وجنّ فما ازداد إلا نهى »

بل مالى أستشير لك خصوم قيس في عقل قيس ، إليك ليل

نفسها ، إنها في موضع واحد تقرّر من عقل قيس ما يقرّر الناس ،

وتنفى عنه ما ينفون وتحار فيه كما يحارون إذ تقول :

« وقيس ذوجنة وإن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا »

« تحير الناس في جنون فتى لا عقل إلا بشعره ولعا »

وهذا قيس كذلك يقول مرة :

« من مبلغ أمى الحزينة أن عقلى اليوم ثاب »

في مرة أخرى يقول :

« عساهم لا يقولون فتى مشرك اللب »

وفي موضع آخر يقول ويحار في أمر نفسه كما يحار فيه الناس :

« ليلي نداء بليلي رث في أذني »

« ليلي لعلى مجنون يخيل لي لالحى نادوا على ليلي ولا نودوا »

بعد تلك الإشارة نظر المؤلف إلى ما يصدر عن قيس من أفعال وأعمال .

في الفصل الأول أغمى على قيس بين يدي ليلي مرة ، في لحظة

تخرجها خشية الأب ، ولذعة النار ولقاء الحبيب في معزل ... وقبل

هذا الإغماء كان قيس يتحدث ليلي حديث العاشق العاقل ، فأحس

أن عينيه قد غامت ، وأن ساقيه لا يحملان جسده ، ثم أخذته

الغيوبة فظل أسيرها لحظات حتى أفاق .

« كالفنن الذاوى نحولا وكالمغيب اصفرارا »
 فإذا صحا عاد فتحدث الى المهدي حديث العاقل وجادله جدال
 العاقل لا يكدر صفاء عقله وسواس من وسواس الجنون .
 وفي الفصل الثانى أغمى على قيس للمرة الثانية ، فى لحظة حرجة
 أخرى ، أخرجتها لوعة الذكرى كما أخرجها عذاب النفس ، كما
 أخرجها بنى الصغار ... وقبل هذا الإغماء كذلك كان قيس
 يحدث نفسه حديث العاقل ، يقدر الإساءة إليه ، ويقدر شخص
 المسىء ، ويعفو عن هذه الإساءة كما يعفو العاقل الغفور الرحيم .
 « قيس لا - ساح صغارا لا يحسبون الخطيئة »
 « إنهم فيما أتوه ببغاوات بريئة »
 « لقنوها كلمات نزهات أو بذية »
 ثم تأخذه الغيرة فينسى ما حوله ، ويظل أسيرها لحظات
 حتى يفيق منها فيتحدث عن هواه حديث الحب العاقل يسمع
 اسم ليلي على ألسنة الناس فيغار ويناقش ويخيل إليه عند ما ينتهى
 رنين الصوت فى أذنه ، أن هذا الصوت لم يكن إلا هذيان إغماء .

« ليلي »
 « هل المنادون أهلوها وإخوتها أم المنادون عشاق معاميد »
 « إن يشركوني في ليلي فلا رجعت جبال نجد لهم صوتا ولا اليد »
 « أغير ليلاي نادوا أم بها هتفوا فداء ليلي الليالي الخرد الغيد »
 « »
 « ليلي لعل مجنون يخيل لي لا الحى نادوا على ليلي ولا نودوا »

وفي الفصل الثالث يغمى على قيس للمرة الثالثة، في لحظة أخرى أخرجتها خشية الموت وخشية الفشل ... وقبل هذه الغيبوبة كذلك كان قيس يناجى ليلي وحيها مناجاة العاقل ويقرر وينفى ويناقش في منطق سليم، ثم تدركه النوبة ويعوده الإغماء، وقيل أن يتمكن منه يرى ما لا يراه الناس في حي ليلي، يراها هي ولا يحقق غيرها وإن كثر لدى حماها السواد، وما في حي ليلي سوى سيوف مسلولة وأسود مغضبة، ترقبه لتشرب من دمه وتنتقم منه لقداسة التقاليد، ثم « يتضاءل ويصفريه مثل الجردة » ويكاد يهوى إلى الأرض فيتلقاها زياد، وتأخذه الغيبوبة المعهودة ولا نستطيع أن نتعقبه عندما يفيق.

ثم يكون الفصل الرابع فنرى قياسا على مقربة من دار ليلي وحيها الحديد ، وفي لحظة لا بد أن تكون هي الأخرى كأخواتها حرجة ، يخرجها الجهد والتعاسة ووعشاء السفر ، وتوقع لقاء الحبيب نراه يتصور صوراً لا يمكن أن تخطر في خيال عاقل ، فهو يرى الجن ويصفهم ويتحدث معهم ، ويقول لأحدهم :

« ما أنت إلا صورة في عصبى مصوره »

« أوعبت لو كان عقلى حاضرا لأنكره »

ثم يسترد عقله الكامل بعد هذه الأزمة الحرجة فيناجز غريمه في ليلي مناجزة العاقل ، ويتهم عليه تهكم العاقل ، ويناقشه مناقشة العاقل ، ويغار منه غيرة العاقل ، ثم يسلمه غريمه إلى ليلاه ، فإذا حديثه إليها حديث العاقل كذلك ، وإذا نجواه منها في دائرة المنطق السليم ، وإذا غيرته كذلك وغضبه وكل ما يفعل لا تصدر إلا عن محب عاقل غيور .

ثم يكون احتضاره في الفصل الخامس ، حيث يسمع ما لا يسمع الناس و يرى ما لا يرى الناس وما يعتينا هذا الاحتضار أن يعقل

فيه ألا يعقل ، فقد يهذى كل محتضر ويخلط ، وحسبنا مادة للبحث تلك الفترات القصار التي كانت تتسع بقيس وعقله إلى مكان بين بين ، لا هو من الموت ولا هو من الحياة .

أية صورة من صور العافية أو أية صورة من صور الجنون الذى يعتاد سواد الناس ، تستطيع أن تعطى حيرة الناس فى أمر قيس ، وحيرته فى أمر نفسه ، وتلك الأدوار المتناقضة فى هذه الحياة المضطربة صحو يكون العقل والحواس والحركات فيه أصفى وأسلم ما تكون العقول والحواس والحركات ، ثم غيبوبة يختلط فيها العقل وتنطلق الحواس وتنشل الحركات ، ثم كذلك دوايك حتى تنطفىء هذه الحياة ؟؟

لا شئ من صور الصحة ولا شئ من صور الجنون ، يستطيع أن يغطى هذه الظواهر ، إنما الذى يغطيها ويشتملها جميعا هو المرض والمرض أنواع .

قيس إذن فى نظر المؤلف رجل عاقل مريض ، بالغ الهوى له فى وطأة الداء ، وليس ضلال الناس فيه ، وقيس ضلاله فى نفسه

إلا جهلا بهذا الداء كيف يكون ، وتسمية له بأقرب الأسماء اتصالا
 بهذه الحياة المضطربة ، في رأس هذا البدوى الجاهل بضروب
 العلل والأدواء ، وأى الأسماء في هذا الرأس أقرب اتصالا بهذه الحياة
 من ذلك الاسم القديم المعروف ... الجنون ؟؟ كما أن ضعفه
 وهزاله كما يبدو ان لك — أظهر ما يبدو ان — في قوله عن نفسه :
 « أنا الميت يا بشر وإن أخطر تكفيني »

ليس هذا الضعف والهزال إلا فزيجا من وقدة العاطفة وزمنة
 الداء ومن السهل بعد هذا أن نتعقب أخلاق قيس في الرواية ،
 إباءه وعزته ، ورفعته وسماحته ، وأثرته وغيرته ، وليست كلها
 إلا صورة لأخلاق شاعر محب مريض .

ليلى

تتلخص حياة ليلى وحبها في هذه الكلمات :

« أنا بين اثنتين كلتاها النار »

« بين حرصى على قداسة عرضى واحتفاظى بمن أحب وضحى »

فأما أنها كانت تحب قيسا فقد ظلت تعترف بهذا الحب طول الرواية تارة بينها وبين قيس ، وتارة أخرى بينها وبين الناس . وأما أنها كانت تحمل من هواها ما يحمل قيس من هواه ، وتصون منه ما يصون ، فهي وإن ألحت في التصريح به ، فقد كان سلطان التقاليد البدوية عليها أقوى من سلطان هذا الغرام ، وقد رضيت أن تقتل نفسها وتقتل هواها وتخيب في قيس شفاعاة الشافعين حرصا على حرمة هذه التقاليد .

ولقد تختلط هذه الحقيقة المؤكدة بكلمة نطقت بها ليلي ، إذ يقول لها أبوها وقيس مغمى عليه في داره ، وليلى تستنصره وتستغيث « يرانا الناس ياليلي » فتجيبه « أجي انف الناس من فكرك » كذلك تبدو ليلي كأنما تحتقر الناس وما يقولون ، لكنها لا تلبث أن تستدرك هذه العثرة فتقول ، وتخشى من سلطان التقاليد ما كانت دائما تخشاه :

« هنا لا تقع العين على غيري ولا غيرك ! »

وإلى جانب هذا الحرص على كرامة التقاليد منحها المؤلف قوة
في الرأي وعنادا فيه ، قد يكونان أثر هذا الحرص في نفسها وتراهما
حيث يقول عنها قائل :

«أراها وإن لم تخط الشباب عجزوا على الرأي لا تغلب»

وحيث يستغل أبوها في نفسها هذه القوة ، فيدارى ابن عوف
على حسابها ، ويطلق لابنته الحرية أن تتزوج من قيس أو سواء
وهو مؤمن كل الإيمان بقرارها الأخير. وحيث يستغل زوجها ورد
في نفسها هذه القوة كذلك فيفتح بيته لغريمه راضيا ، ويترك شرفه
تحت رحمة هذا الغريم راضيا ، وهو موقن كل اليقين أن شرفه
— ومن دونه هذه القوة — مصون لا يخشى عليه عدوان. وحيث
تبرهن ليلي على هذه القوة الكامنة في نفسها برهانا قويا في آخر
مواقفها وقيس ، ترى فيه مورد الهوى صافيا ممهد السبيل ، ثم
تأباه على نفسها ، وتموت عطشى حرصا على العرض والشرف
وكرامة التقاليد .

المهدى

هذا الرجل طريفة أخرى من طرائد التقاليد البدوية في هذه
الرواية ؛ لكن طاعته إياها رزينة لا تعرف العنف ؛ طاعة تقف
منها عاطفة الحنان على ابنته إذ يقول :

« أخاف الناس في أمرى وأخشى الناس في أمرك »
« وكم داريت يا ليلي وكم مهدت من عذرك »

وعاطفة الرفق بشاب من ذويه زلت به هذه التقاليد إذ يقول :
« دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل »

ستار الختام

أطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

25
7

0702342



0702342

شركة بن الطيب

شاي الارضارم ١ شرايف
نمبر ٥٨١٤٩ صدف م